

التمرين على القراءة في اللغة العربية

طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة
بتاريخ ٢٦ تشرين اول سنة ٣٠٧ وعدد ٤٥٩

يباع في المكتبة العثمانية بجوار الجامع الكبير العمري
في بيروت

طبع بمطبعة جمعية الفنون سنة ١٣٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل فضيلة القراءة والكتابة من اجل النعم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي ادّبه الله سبحانه وتعالى فاحسن أدبه وتفضل عليه وتكرم (وبعد) فهذه نخبة مسامرات علمية خفيفة معدة لتحلية اذهان الاطفال بمعلومات أدبية لطيفة مع التمرين على ضبط القراءة في اللغة العربية الشريفة اقتطفتها من كتاب العلامة الفاضل صاحب السعادة علي مبارك باشا هدية لتلامذة المكاتب الابتدائية مستمداً من الله التوفيق والهداية الى اقرب طريق



﴿المسامرة الأولى﴾

في منشاء مصائب بني آدم

من تأمل في تاريخ العالم رأى أن أعمال بني آدم أقرب الى الشر من الخير وكتب السير مشحونة بالامثال الدالة على ذلك وان كان الخالق سبحانه وتعالى اودع فيهم بصيرة ترشدهم الى الخير وتنهاهم عن الشر الا ان الشهوات والاعراض تستدعي مخالفة أمر البصيرة والاعراض عما تبديه من الآراء الحميدة والنصائح المفيدة

وجهلهم بالحقائق هو منشأ آخر للمصايب والخطايا التي لا تخلو عنها صحائف التاريخ كيف لا وان تمكن الغيظ منهم وتحكم الغضب والحسد عليهم وطمعهم وحبهم للمال وسوء تربيتهم كل ذلك يصدهم عن اتباع الصراط المستقيم ويهوى بهم في مهاوي الذل والعذاب الاليم ومن هنا تعلم ان مصائب النوع البشري ناشئة عن حب الشهوات والجهل بالحقائق

﴿المسامرة الثانية﴾

« في جهل الامم السالفة »

كانت الامم السالفة في معظم ولايات آسية كالعراقين والكنعانين يعتقدون قبل الآن بعدّة قرون أنّ الشمس اله معبود وقد عكفوا على عبادتها مدّة من الزمان كما ان المصريين بافريقية

كانوا يعبدون كثيراً من الحيونات والطيور بل ومن نباتات بساتينهم وكان معبودهم الاكبر هو العجل المسمى (أبيس)وكانوا يلبسون عليه عند موته شعار الحداد والحزن ولا يميطونه عنهم الا اذا بحثوا عن عجل غيره وأقاموه مقامهُ وتمثلوا للعبادة امامه وقد مكث اليونان والرومانيون في اوروبا حتى بعد برهة من تقدمهم في المعارف عاكفين زمنا طويلاً على عبادة أوثان المساوي فكانوا يهيئون للفواحش تمثالاً يسمونه بالزهرة وللسكر صنما يسمونه بأكوس ويعبدونهما وكانوا يزعمون أن هذه العبادة تقربهم الى معبوداتهم لاعتقادهم انهم يميلون اليها وان فيها رضاهم فضلوا بذلك عن الصراط المستقيم وزاغوا عن المنهج القويم وكان الجرمانيون يعكفون على عبادة معبودات مهولة ويقربون اليها قرباناً من الآدميين

﴾ المسامرة الثالثة ﴿

«فيما كانت عليه الامم السالفة من الخشونة والتوحش»

لم يكن جهل الامم السالفة في الازمان القاصيه قاصراً على فساد ما يعتقدون وما يتخيلون بل كانوا ايضاً بمعزل عن معرفة ضروريات المعيشة كبناء المساكن ونسج الملابس وزراعة الارض حتى انهم كانوا يهيمون على وجوههم في الاجمات ويستترون

بجلود ما يقتلونهُ من الحيونات ويتغذون من بعض الفاكهة والنبات ويأوون الى سقائف مصنوعة من اغصانِ الاشجارِ والى بعض الكهوف والمغاراتِ واستمروا على ذلك المدد الطويلة حتى ظهرت الصنائع والفنون شيئاً فشيئاً على توالي الايام فاخذ الناس على التدريج في التمدن والحضارة والعمران الى ان وصلوا الى ما هم عليه الان

وقد دلت كتب التاريخ على ان اهل الجهات المشرقية سبقوا غيرهم في التمدن والتقدم ومنهم سرى الى سائر الجهات

وكان ممن اعان على انتشار التمدن والحضارة في بعض الجهات الاوربية ظهور جماعة من مشاهير النبلاء نبغوا في جهات مختلفة منها مثل مينوس بجزيرة كريد وسولون بمدينة اتينا وليكورج بولاية مقدونية وتومة ببلاد الرومانيين فارشدوا الناس الى اكتسابِ الفنونِ والصنائع النافعة ووضعوا لهم قوانين للزواج والمعاملة وانصافِ الضعيف من القوى فكان ذلك باعثاً لهم على رفض التوحش والاخذ في التأنس وحسن الاجتماع والحضارة والتمدن ووفد على مصر جماعة من الاجانب تعلموا من أهلها ما كان لديهم ومقصوراً عليهم من الفنون والمعارف ورحل من مصر جماعة الى بلاد اليونان فنشروا بها العلوم والصنائعَ منهم سكروبس المصري هاجر الى آتينا فعلم اهلها غرس الكروم وعلمهم

قدموس الصوري ايضاً القراءة والكتابة وهكذا صارت العلوم والصنائع تتناقل وتتداول بين الناس والعباد وهي تترقى وتزداد ولم تزل حتى الآن في الترقي والازدياد

﴿ المسامرة الرابعة ﴾

«فيما كانت عليه الفنون في الازمنة السالفة»

كان تقدم الفنون بالبقاع التي تمدنت في الازمان القديمة واهياً جداً بالنسبة لما هي عليه الآن في عصرنا هذا حتى ان فن الملاحة كان قاصراً على ملازمة السواحل لان القدماء لم يكن عندهم بوصلة يهتدون بها في السير بالبحار ولا عربات بل ولا طرق منتظمة يسهل بها النقل والاسفار ولا بريد لارسال المخاطبات ولا آلات تجارية لمساعدة القوة البشرية وكانت معرفتهم في علم الفلك قاصرة على بعض نظريات فاسدة وطالما كان ينشأ عن مشاهدة بعض الحوادث الجوية رعب للامة بتمامها وهكذا كانت حالة العلوم الطبية فكان اذا مرض احد العراقيين أخرجوه من داره ووضعوه على قارعة الطريق ليصف من يمر من الناس ما عساه ينفعه من الدواء

﴿ المسامرة الخامسة ﴾

«فيما عليه الثمان من التقدم في هذا العصر»

لا شك اننا من السعداء اوجودنا في هذا العصر المتمدن ولم لا وانه يسوغ لاغلب ابناء المكاتب ان يفتخر بما له من المعارف على كثير من مشاهير ملوك القرون الخالية لان القوانين الشرعية والسياسية الجاري عليها العمل الان فيما بيننا قد ساوت بين الضعيف والقوي والفقير والغني في العدل ومهدت طرق الثروة والسعادة للكل وقد اتسعت دائرة الرفاهية والمنفعة العمومية بواسطة اختراع المخترعات الجديدة والبدع الحسنة المبتدعة ابتداء (بيت الابرة) والمطبعة وآلات البخار المسماة بالوابورات وسكك الحديد والاشارة الكهربائية المعروفة بالتلغرافات وغير ذلك من المواد النافعة وها هو فن الزراعة قد بلغ الدرجة القصوى في هذه الايام وها هي الارض بعد ان كانت خالية من المزارع والسكان اصبحت يانعة الازهار جارية الترع والانهار معمورة بأرباب الفلاحة والصناعة متباهية بتربية ابنائها في المدارس والكتب المؤسسة من فيض المكارم في أمهات المدن والقرى متحلية بالورش والمعامل والمسابك واضحى اهلها الآن راتعين في حال المعارف والغنى آمنين من حوادث الدهر مؤملين دوام الامن والراحة في ظل سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم امير المؤمنين ابد الله

﴿ المسامرةُ السادسة ﴾

« في وصف الارض اي في علم الجغرافياً »

اعلموا ايها الصبيان أنا اذا خرجنا من وطننا المحبوب وسلكنا اي طريق كان فاننا لا نزال نرى مدناً وبلاداً وتظهر لنا هنالك ارض واسعة معمورة باناس مغايرين لنا وبحار وراءها ارض اخرى مسكونة بامم مختلفة الاجناس لا يمكن معرفتهم ولا الوقوف على حقيقتهم الا بواسطة الاطلاع على الكتب المؤلفة في علم الجغرافيا أيْ وصف الارض وأخبار السياحين فان هذه الكتب هي التي توصل الى معرفة كل ارض على حدتها وتبين وضعها وعدد سكانها ومدنها وانهارها وجبالها وعادات اهلها ولغتهم ودينهم وألوانهم وباقي احوالهم

والارض كرة عظيمة الحجم يقطع السياح محيطها في مدة ثلاثمائة وخمسة وسبعين يوماً ان استمر على السير ليلا ونهاراً وقطع في الساعة الواحدة فرسخاً واحداً لكنك ترى انه لتعذر اتباع خط مستقيم في السير بسبب تعدد الموانع من جبال وبحار لا يتيسر للملاحين قطع المحيط المذكور في اقل من ثلاث سنوات وذلك لاختلاف الاهوية وكثرة الوقوف وتعدد الانعطافات وانحراف طرق السير وتزعم اليهود ان الارض محمولة على ظهر

فيل أبيض والفيل محمول على سلحفة كبيرة سابحة في بحر من لبن وهذا الزعم الفاسد لا يقول الآن به أحد من الناس لان العلم قد كشف الحقائق ودل على ان الارض تدور بقدرة الله تعالى كباقي الكواكب في الفراغ حول نفسها في يوم واحد ولا تزال آخذة في التقدم الى الأمام بحيث لا تعود الى النقطة التي ابتدأت منها في السير الا بعد مضي سنة ثم ان ثلاثة أرباع سطحها مستورة بالماء وارتفاع طبقة الهواء المحيطة بها ستون الف متر وتنقسم الارض بالنسبة للسكان الى خمسة اقسام

أحدها (افريقيا) وسكانها الافريقيون ومنها ولاية (مصر والسودان والحبشة) وبلاد المغاربة

وثانيها (آسيا) وسكانها المشرقيون ومنها ارض (الحجاز) وبلاد (الهند والصين والشام)

وثالثها (اوروبا) وسكانها الاوروباويون ومنها (فرانسة والانكليز) وبلاد (الاندلس)

ورابعها (امريقا) أو الدنيا الجديدة وسكانها الامريقيون

وخامسها (الاوقيانس) وهي عبارة عن جميع جزائر البحر المحيط الاوقيانوسي

وهذه الاقسام الخمسة تنقسم الى اقسام أخر تعرف بالممالك والولايات وهي مختلفة عن بعضها في الاحوال والاحكام كما

ستقفون ان شاءَ اللهُ تعالىٰ علىٰ تفاصيله فيما بعدُ

﴿ المسامرة السابعةُ ﴾

(في الانسانِ)

أشرفَ جميع المخلوقاتِ المختلفةِ الاجناسِ القاطنةِ بالارضِ المتسعةِ هوَ الانسانُ لماَ منحهُ بهِ الباري عزَّ شأنهُ من المزايا التي امتازَ بها على سواهُ وهذهِ المخلوقاتُ وانْ اشتركت معه في اللذةِ والأَلمِ الاَّ انهُ مفضلٌ عليها بكونه سبحانه خلقه في احسن تقويم وأودع في تركيبِ جسمهِ ما يدلّ علىٰ ما منحه من الفضل العظيم فجعل له عينين ينظرُ بهما واذنينِ يسمعُ بهماَ وأنفاً يشمُ بهِ ولساناً ينطقُ ويذوق بهِ وجعلَ في صدره القلبَ والرئتينِ فأماَ وظيفة القلب فهي توزيع الدم على الجسم بواسطة الشرايينِ ورده اليهِ بواسطة الاوردةِ وأماَ وظيفةُ الرئتين فهي التنفس بمعنى ان الهواءَ الذي نستنشقه يمكث بهما منْ ثانيتين الىٰ ثلاث لاجلِ تنقيةِ الدمِ وقد وضع المعدة وهي بيت الاغذيــة في الجزءِ الاسفل من الجسم لاجل الهضم والكبد لاجل افراز المادة الصفراء والطحال وهو مجهول الوظيفة الىٰ الآن واحاطَ العظامَ بالعضلاتِ اوْ باللحم ومدّ الاعصابَ والاوردةَ والشرايينَ في جميعِ الجسم وجعل فيهِ الروح التي لا يمكن مشاهدتهاَ ولاَ لمسهاَ وهي التي عليها مدار

نظامِ حركتهِ وبهاَ يحصلُ الاحساسُ والتفكرُ والاثباتُ والتذكرُ والتبصرُ وهيَ عَنصرُ الحياةِ والعقلِ وهيَ باقيةٌ لا تفنىَ ولاَ يعلمُ لارتباطهاَ بالجسمِ حقيقةٌ وانفصالهاَ عنهُ يكونُ اماَ بأمراضٍ شديدة واماَ بأعراض أخر تأتي عليهِ بغتةً وللانسانِ اشتراكٌ معْ باقي الحيواناتِ في الحواسِ الخمسِ وهيَ النظرُ والسمعُ والشمُ والذوقُ واللمسُ الاّ انَّ منهاَ ماَ هوَ أقوى منه فيهاَ كالكلبِ مثلاً فانَّ حاسةَ الشمِ فيه أقوىَ منْ حاسة الشم في الانسانِ وكالطيور فانَّ حاسة نظرهاَ أقوىَ من حاسةِ نظرهِ وهوَ وان كانَ أضعفَ حواسٍ وأقلَّ قوةً وحركةً من بعضِ الحيواناتِ كالفيلِ والفرس والنمر والاسدِ الاّ انهُ يقهرهاَ باستعمالِ عقله وتدبيرهِ ولسانهِ وحينئذٍ فهوَ سلطانهاَ لا محالة

﴿ المسامرةُ الثامنة ﴾

«في الهواءِ»

الهواءُ هوَ منْ أجلِّ النعمِ التي انعمَ اللهُ بهاَ علىَ المخلوقاتِ وهوَ من الضروريات لحياةِ الانسانِ وباقي الحيواناتِ والنباتات ولولاهُ ما اضرمتْ نار ولاَ انتشرَ صوتٌ ولاَ جرتْ سفنٌ بالبحار ولاَ طارَ طائرٌ في الجو ولا تلونت السماءُ باللون الازرقِ وهوَ الذي يحملُ السحاب المشتمل على المطر والبرد والثلج وفيه يلمعُ البرقُ و يزمجرُ الرعد

ومن حركته تحدث الارياح المختلفة التي منها النسيم وهو ريح لطيفة تقطع في الساعة الواحدة فرسخاً واحداً والنافجة وهي ريح تقطع في الساعة الواحدة ثمانية فراسخ والعاصف وهو الذي يقطع في الساعة الواحدة من ستة عشر فرسخاً الى عشرين والزعزع وهو الذي يخلع الاشجار ويقطع في الساعة الواحدة من عشرين فرسخاً الى ثلاثين والاعصار التي تهب من الارض أو من البحر كالعمود وهي عبارة عن ابخرة تهوي من السماء وتدور حول نفسها بقوة شديدة وكثيراً ما تبلغ سعة قاعدتها مائتي متر فما فوقها ومتى وصلت الى سطح الماء ارغى وأزبد وارتفع الى السماء وسمع له دوي يعقبه سقوط المطر وزمجرة الرعد وهذه الريح هي التي يتحفظ الملاحون منها على سفنهم في العادة باطلاق المدافع عليها فان ظهرت على سطح الارض نشأ عنها هدم المباني وخلع الاشجار وطرح الناس والحيوانات الى ابعد مسافة وهي مصحوبة بأبخرة كبريتية حارة ولها دوي يسمع على بعد والزوابع نوع خفيف منها والارياح على انواع منها الحار كالسموم والبارد المصحوب برطوبة والمستمر الذي يكون هبوبه على الدوام من جهة واحدة والمختلف والدوري وهو الذي لا يهب الا في وقت معين من العام والشمال . والجنوب يهب من الجهة القبلية ومنها غير ذلك

﴿ المسامرة التاسعة ﴾

« في النور »

النور من سوابغ النعم التي عمت البرية وهو ناشئ عن الشمس في النهار وعن القمر والنجوم في الليل وقد توصل الانسان باجتهاده الى الحصول على نور صناعي من احتراق الزيوت المستخرجة من حبوب بعض النباتات ومن شحوم الحيوانات والغازات المستخرجة من بعض المعادن والحامل له على ذلك هو ضرورة الانتفاع به في احتياجاته والنور هو السبب في مشاهدة الصور في المرايا لاننا لانراها بها الا بواسطة انبعاث جزء منه الى المرآة وانعكاسه الى أبصارنا بالثاني وكثيرا ما يشاهد النور بالليل في بعض الاماكن وهو ناشئ إما عن حشرات وديدان صغيرة واما عن اخشاب بالية او عن عظام وبعض احجار قد اثرت عليها الشمس مدة طويلة من الزمن ويشاهد النور ايضا عند كسر السكر او عند مصادمة قطعتين منه بالليل وقد يظهر من اجسام الحيوانات المدفونة بالاماكن الرطبة والبرك نور ناشئ عن امتزاج الفسفور بابخرة اخرى متولدة من الماء ومشاهدة ذلك كثيرة في المقابر وأما قوس قذح الذي يشاهد احيانا في السماء فهو حادث من كون أشعة الشمس تنبعث الى قطرات المطر

فتستنير ثم تخرج منها متلونة بالالوان المشاهدة في هذا القوس ويكون في العادة مصحوباً بقوس اصغر منه حجماً واعظم ضوءاً ومتعاكساً معه في اللون بمعنى ان اللون الاحمر في الاصفر يكون في الداخل والبنفسجي في الخارج بخلاف القوس الاكبر فان لونه الاحمر يكون في الخارج والبنفسجي في الداخل

المسامرة العاشرة

(في النار)

ليست النار في المنفعة دون الماء والهواء كيف لا والحياة للانسان بدونها غير ممكنة في الاقطار الباردة كبلاد سيبيريا ومعظم بلاد الروسيا وامريقا الشمالية وحياته بدونها في الاقطار المعتدلة صعبة ايضاً لانه لا يتأتى له انضاج أغذيته ولا تطريق ما يحتاج اليه من المعادن ونحو ذلك الابها ولا توجد النار بالطبع الا في البراكين وهي جبال النار عند ثورانها أو في الاجسام التي تنتهي تخميراتها بالالتهاب وما سمعنا عن نوع من الحيوانات انه توصل الى طريق معرفة الحصول على النار ليستعملها في احتياجاته غير الانسان دون غيره فانه عرف الوسائط التي تحصل بها على النار وانتفع باستعمالها وما من جمعية من الناس ولو متوحشة الا عرفتها وانتفعت بها والطريقة التي يستعملها

المتوحشون في الحصول عليها هي انهم يحكون قطعتين من الخشب احداهما على الاخرى مع السرعة فتحصل بينهما النار وكذلك اذا طرق على الصوان بالفولاذ طرقاً شديداً متوالياً انفصل من الفولاذ شرر اشتعل في الهواء والتهب في الصوفان المعرض له وقد انبت لنا الله سبحانه وتعالى على سطح الارض من الغابات المتسعة ما فيه كفاية لاحتياجاتنا مدة طويلة من الزمن كما انه جلت قدرته أودع لنا في بطنها من مدخرات الفحم الحجري الجسيمة ما هو جار استخراجه منها الآن بغاية النجاح

وينبغي الاحتراز على الدوام من النار لانه يحصل منها غالباً في الاجران والمساكن مصايب عظيمة واخطار جسيمة

المسامرة الحادية عشرة

(في البراكين وهي جبال النار)

ليس من الحوادث التي تعرض على سطح الارض ما هو أعظم وقعاً ولا اشد خطراً من البركان فانك تراه عند ثورانه يقذف بنيران ملتهبة وتخرج منه زوابع من دخان ورماد وتراب ويرمي باحجار جسيمة وصخور هائلة الى ابعاد عظيمة وتسمع في أثناء ذلك من باطن الارض قرقعة مفزعة مع تواتر صواعق وتوالي أمطار غزيرة ويكون الجبل حينئذ مضطرباً من راسه

الى قاعدته وتفرج جوانبه فتخرج من بينها مواد ملتهبة تسيل على سفحه وتندفق غالباً في البحر فتفور فيه وتغلي منها امواجه ويوجد في اروبا ثلاثة من جبال النار أحدها المسمى اتنا في جزيرة صقلية اوسيسليا وثانيها بركان فيزوف في نابولي من مملكة ايطاليا وثالثها بركان هكلة في جزيرة أسلندة من بلاد الانكليز وجبال النار كثيرة العدد في آسيا وفي امريقا على الخصوص وطالما ثارت في الاعصار الخالية جبال نار كثيرة هي في هذا العصر خامدة النيران ينتفع بها الآن في الزراعة ومن زمن الى آخر تشاهد براكين جديدة

ولنضرب لك متلاً ببركان فيزوف المذكور فانه لما ثار ثورته الاولى بعد ميلاد المسيح عليه السلام بتسع وسبعين سنة نشأ عن ذلك خسف مدينة بومبية واحتراق مدينة هرقلة بالمادة الملتهبة التي قذفها وقد ظهرت في عهد قريب جزيرة في البحر المتوسط كان منشؤها من ثورة بركان كامن تحت البحر ثم زالت ومحي رسمها بالكلية وهذه الحوادث قد تكون مصحوبة في الغالب بزلازل

المسامرة الثانية عشرة

« في الزلازل »

قد نرى في بعض الاحيان أن الارض تأخذ بغتة في

الاضطراب والتزلزل وان بعض اماكنها تنشق فتبتلع بلاداً اوجبالاً وربما نشأ عنها تحويل الانهار عن مجاريها ورفع بعض الجهات عن اصلها واندفاع بعض مياه من البحر على الساحل ربما يستوعب مسافة متسعة من الارض هنالك ينزل بالسكان المجاورين لها من الفزع الناشيء عما يطرأ عليهم من الخطر ما تكاد تتلف به اشباحهم وتزهق له ارواحهم الا ان هذه الحادثة لا تعم الارض كلها بل تقتصر على بعض مواضع منها ولا تمكث الا لحظة يسيرة من الزمن يكون فيها المكان المتزلزل أشبه شيء بسفينة مضطربة على سطح الماء بالامواج والرياح المختلفة ولم يتيسر الوقوف الى الآن على حقيقة منشأ الزلازل وهي كثيرة الوقوع فى امريقا الجنوبية لا سيما بالقرب من الهند وتكون سبباً في خسف كثير من البلاد بأهلها وكذلك يكثر وقوعها في جهات متعددة من آسيا واوروبا خصوصاً بالقرب من نابولي

﴿ المسامرة الثالثة عشرة ﴾

« في الماء »

متى سقطت قطرات المطر على الارض فمنها ما تبتلعه الارض وهو الذي تحدث منه العيون النابعة ومنها ما يجرى على سطحها بمجار متنوعة الاتجاهات تتكوّن من تجمعها في كافة البقاع عدة أنهار وخلجان تصب في بحار عظيمة الاتساع جسيمة

العمق اذا عرضت مياهها المالحة الى حرارة الشمس أو الى النار تصعدت بخارًا ورسب منها الملح المصلح للطعام واجود المشروب هو الماء العذب النقي الصافي وهو من العناصر الضرورية للحياة في هذه الدنيا وفي المياه هواء يستنشقه السمك وقد يتجمد ماء الانهار والخلجان بسبب شدة البرودة فتمر من فوقه الناس والعربات

﴿ المسامرة الرابعة عشرة ﴾

«في البخار والندى والضباب والسحاب والمطر والثلج والبرد»

اذا عرضنا للشمس اقمشة مبلولة بالماء جفت بعد برهة من الزمن وكذلك اذا وضعنا ماء في اناء رأينا انه يتناقص بالتدريج وما ذلك الا لكونه يتصاعد ويوءول الى بخار وبهذه المثابة يتصاعد من مياه الانهار والبحار الى الجوّ بخار يمتزج بالهواء

فاما الندى والضباب فانهما ينشآن من تجمع الابخرة المائية الممتزجة بالهواء وسقوطها في اواخر ليالي الصيف الباردة بهيئة قطرات على الارض واوراق الشجر والنباتات فان كانت هذه القطرات كبيرة فهي الندى وان كانت صغيرة مكونة لطبقة مظلمة فهي الضباب

واما السحاب فانه ناشيء عن تجمع قطرات صغيرة جدًا من الماء الحادث من الابخرة وبقائها في الجوّ بسبب خفتها فان

ازداد حجم هذه القطرات سقطت الى الارض ونشأ عنها المطر وان اشتد عليها تأثير البرد وسقطت بهيئة ذرات صغيرة بيضاء فهي الثلج وان كانت كبيرة الحجم وادركها تأثير البرد الشديد عند سقوطها فتجمدت وتكوّنت منها أكر متفاوتة الحجم فهي البرَد وهو مضر بالمزروعات

المسامرةُ الخامسةَ عشرةَ

«في الشمس وبعض كائناتٍ سماويةٍ»

النجومُ التي تلوحُ لنا في السماءِ اجسامٌ ربما كانت اكبرَ منَ الارض وانما يتراءى لنا انها صغيرةٌ لبعدها عنا والشمسُ هيَ اعظمها نورًا ومنها يكتسبُ القمرُ نورهُ ومنَ الكواكبِ ما هوَ ثابتٌ ومنها ما هوَ سيار فمن السيارة عطاردُ والزهرةُ والمريخُ والمشتريَ وزحل وغيرها وفي الكواكب ما لا يصلُ ضوءهُ الينا الا في مدة ثلاث سنين يقطعُ فيها المسافةَ بيننا وبين الكواكبِ معَ ان الضوءَ يقطعُ في الثانية الواحدةِ سبعينَ الف فرسخٍ وقدْ تظهرُ في السماءِ في بعضِ الاحيانِ نجومٌ لها اذناب وشعوزٌ تعرفُ بذوات الذنبِ والشمسُ متباعدة عنَ الارض بمقدارِ اربعةٍ وثلاثينَ مليونًا منَ الفراسخ وهيَ اكبر منها بمقدارِ مليون وثلثمائةِ الف مرةٍ وضوءها يصلُ الينا في ظرف ثمانِ دقائق وثلاث عشرةَ ثانية

﴿ المسامرة السادسة عشرة ﴾

«في القمر»

نور القمر مكتسب من الشمس وهو وان كان مثلها في الشروق والغروب الا انه يتأخر في ذلك كل يوم عما قبله بمقدار ثمان واربعين دقيقة ولذا نرى انه يتم دورته السماوية في ظرف سبعة وعشرين يوما ونصف يوم وهو دائر حول الارض ولا نرى منه دائما غير وجهه المحتوي على بعض النقط المعروفة بالكلف

وتتعذر علينا مشاهدته عند وجوده بين الشمس والارض لان نور الشمس لما كان لا يصل في هذا الوضع الى جزئه المتجه الى الارض كان هذا الجزء مظلما لبقائه في الظل وفي هذه الحالة يقال انه في المحاق فاذا استنار منه جزء صغير اطلق عليه اسم قمر جديد او هلال ثم يتباعد عن الوضع المذكور فيشاهد في اليوم الثامن على هيئة نصف دائرة لان النصف الذي وصل اليه نور الشمس يكون حينئذ متجها الى الارض وهذا هو المعروف بالربع الاول من مسير القمر وفي اليوم الخامس عشر يكون جميع جزئه الذي وصل اليه نور الشمس مواجها للارض فيشاهد مستديرا استدارة كاملة وحينئذ يطلق عليه اسم بدر ثم انه لا يبدو لنا منه في اليوم الثاني والعشرين ايضا غير نصفه المستنير

ولا يَظهرُ الاَّ في هيئة نصفِ دائرةٍ اوْ هلالٍ وهذا هوَ المعروفُ بالربعِ الاخيرِ منْ مسيرِ القمرِ ولاَ يخفىَ انَّ طرفيِ الهلالِ متجهانِ في الرُبعِ الاولِ منْ مسيرِ القمرِ الىَ المشرقِ وفي الربعِ الثاني الىَ المغربِ

والقمرُ متباعدٌ عنْ الارضِ بمقدارِ ستةٍ وثمانينَ الفَ فرسخٍ وهوَ اصغرُ منها بمقدارِ تسعٍ واربعينَ مرةً ويرىَ فيهِ ما هوَ اشبهُ بوديانٍ وجبالٍ كما في الارضِ لكنَّ الظاهرَ انهُ لا يوجدُ لهُ كرةٌ جويّةٌ وعلىَ هذا لا يكونُ فيهِ عالمٌ مثلنا لانَ الحياةَ بدونِ الهواءِ غيرُ ممكنة

﴿ المسامرة السابعة عشرة ﴾

« في الكسوف والخسوف »

قد رأينا ان القمر يعود في كل شهر الى موضعه القريب من الشمس فمتى مرَّ امامها أخفاها عن ابصارنا اخفاءً كلياً او جزئياً وحينئذٍ ينشأ عن ذلك للشمسِ كسوف كلي او جزئي وقد كان جهال الامم السابقة ينسبون لذلك تأثيراً في الارض ويجعلونه سبباً لحصول حوادث عظيمة حتى ظهر بالعلم بطلان ذلك وتبين انها حادثة عارية ليس لها تاثير في الارض على انه يتأتى للفلكيين ان يخبروا بوقوعها من قبل بمدة طويلة من غير خطأ في تعيين وقتها ولو بمقدار ثانية واحدة

ومتى توسطت الارض بين الشمس والقمر احتجب النور عن هذا الكوكب الاخير وتولد عن ذلك ما يقال له خسوف وحصول الكسوف الكلي للشمس نادر جدا بالنسبة الى القمر فان خسوفاته الكلية كثيرة الوقوع

نصائح حكمية ومواعظ اسلامية ممزوجة ببعض آيات قرآنية وبعض اخبار نبوية اتينا بها في هذا الكتاب تبركاً بها وترغيباً للطلاب في التخلق ببعض الفضائل والخصال النبوية المستحسنة عملاً بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) مع قوله سبحانه في شأن هذا النبي الكريم (وانك لعلى خلق عظيم)

الخصلة الاولى

« محبة الله ورسوله ووجوب العمل بقوله »

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الشريف ومحترم تنزيله العالي المنيف (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومن المعلوم لكل ذي ذوق سليم وطبع مستقيم أن الله هو الذي خلق الخلق وقسم الرزق وارسل الرسل ارشادا لأقوم العمل وأنعم وتفضل على كل كائن كان ولا سيما على نوع الانسان فلذلك كان من الواجب على كل مخلوق حبه على الوجه

الذي يرضاه ويحبه حب العارفين بالحقيقة الالهية والمسلمين المتنورين العالمين بالطريقة المحمدية أعني بذلك الحب الحمية الدينية المقبولة والغيرة الاسلامية المعقولة

ولا يخفى على كل عاقل خبير وناقد بصير أن سيدنا محمد ابن عبدالله النبي العربي وأنموذج الكمال الادبي هو الوسيلة العظمى في هداية النوع البشري لأقوم طريق الحضارة والتمدين المعبر عنه في لسان العرب على وجه العموم بالدين فلذلك وجب أن يكون حبه مقرونا بحب الله سبحانه وتعالى اذ كلاهما بالآخر منوط ولولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط

أتى والجاهلية في ضلال ... وكفر تعبد الحجر الاصنا (١)

وتأكل ميتة ودما وتسطو ... على موءودة (٢) الاطفال دفنا

فجاء بملة الاسلام يتلو ... مثاني في الصلاة الخمس تثنى

وبدلهم بجور الشرك عدلا ... وبالخوف الذي يجدون أمنا

ومعنى حب الله ورسوله أن يقف المكلف عند الحدود التي حددها الله ورسوله بحيث لا يتعداها وهذا هو معنى التقوى

---

(١) الحجر الاصنا بنون مشددة الغافل والمراد به الجماد

(٢) الموءودة البنت المدفونة حية كما كانت تفعل العرب في الجاهلية أي قبل ظهور الاسلام

والتمسك بالسبب الاقوى وبعبارة اشهر من هذه واظهر امتثال الامر واجتناب النهي والرضا بالقضاء والقدر قال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)

وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين) وفي بعض الروايات المأثورات انه قال (من نفسه التي بين جنبيه) وروي عنه عليه الصلاة والسلام في هذا القبيل ايضاً انه قال (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار (١) بعد اذ انقذه(٢) الله منها)

﴿ الخصلة الثانية ﴾

« طاعة الروساء وولاة الامور ومعنى ما ورد فيها من القول المأثور »

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم

قرن وجوب طاعة الروساء وولاة الامور بطاعة الله ورسوله

---

١ يقذف في النار بضم الياء في اوله يرمى فيها

٢ وانقذه انجاه واخرجه

لانها عبارة عنها ونيابة منها

وبما يوضح هذا المقام ما روى عنه عليه الصلاة والسلام قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت (١) منها القلوب وذرفت (٢) منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي في رواية وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا (٣) عليها بالنواجذ (٤) واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة (٥) وفي بعض الروايات وكل ضلالة في النار

---

١ وجلت بكسر الجيم خافت ٢ ذرفت بفتح الراء دمعت

٣ عضوا بفتح العين المهملة

٤ بالنواجذ بالذال المعجمة في اخره وهي الانياب وقيل الاضراس كناية عن تأكيد الامر بالتمسك بها والتشديد في لزوم العمل بمقتضاها

٥ فان كل بدعة ضلالة مقيدة بما اذا كانت بدعة قبيحة منكرة اي مخالفة للنصوص المقررة والادلة الظاهرة بخلاف ما اذا كانت بدعة حسنة ومصلحة عمومية مستحسنة فقد يجب العمل بها فضلاً عن الانتداب اليها واستحبابها

الخصلة الثالثة

« فضيلة حب الوطن وما ورد فيه من الحديث الحسن »

معنى حب الوطن على العموم هو بذل الروح والمال وكل ما تيسر للانسان من صالح الاعمال لعموم منفعة بلدته التي ولد فيها ونشأ بها وبالنسبة للاطفال هو ان يسلم الطفل الصغير التسليم المحض وينقاد الانقياد المطلق من غير انكار ولا نقض لما يوجهه اليه ابواه او كل من نيط اليه تدبير امره فتولاه من طرق التأديب والتربية ووجوه التعليم والترقية لينشأ المنشأ الحسن وينفع بالحقيقة العشيرة والوطن حتى اذا وصل الى درجة الرشد والكمال ودخل في مدخل الرجال فيصير حينئذ معنى حب الوطن بالنسبة اليه هو ان يبذل وقت الحاجة كل ما قدر عليه بما اعطاه الله سبحانه وتعالى من الروح والمال والخبرة والعرفان في سائر الاحوال والازمان لعموم منفعة الاوطان التي بها ولد او كان لبعض المقتضيات اتخذها لنفسه خير بلد اعني انه يصرف سائر همته وكل ميسرته ومعرفته باختياره وارادته لمصلحة وطنه العمومية ويقدمها في وقت اللزوم على منفعته الخصوصية ويستقيم في كل اقامة اقامه الله تعالى فيها من انواع الاقامات الدنيوية فان كان موظفا بوظيفة بين عباده او منوطا بخدمة في

بلاده صدق في اداء وظيفته واستقام في خدمته وان كان تاجراً نصح في تجارته وان كان ذا حرفة كزراعة او صناعة وجب عليه ان يبذل نفسه حباً لوطنه في إتقان حرفته حتى الزبال الحقير الذي يكنس القمامات من الطرقات والاسكف الفقير الذي يصلح النعلات تعود فائدة حرفتهما اذا احسناها واتقناها على مصلحة الصحة العمومية والمنفعة الوطنية ولا بأس على كل انسان ان يؤثر بما تيسر لديه من الاحسان البقعة التي كانت اول بيت درج فيه دون جميع أضرابها والقطعة التي كانت اول ارض مس جلده ترابها على سائر اترابها من القطر الذي اليه انتسب وهكذا الاقرب فالاقرب ولذلك ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الشان وناهيك به من بيان (حب الوطن من الايمان) والمعنى ان حب الاوطان شطر أي جزء من الايمان

﴿ الخصلة الرابعة ﴾

(فضيلة حب النفس المعقول على حسب المنقول)

قد ركب الله سبحانه وتعالى ببليغ حكمته في طبيعة الانسان وغريزة كل حيوان حب النفس حرصاً على بقاء الجنس واذا كان حب النفس على الوجه المعقول والمنوال المنقول طبقاً لما ورد (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) عد من جملة الفضائل بخلاف

ما اذا كان قد تجاوز الحد بحيث ترتب عليه ادنى ضرر بحق احد فانه حينئذ من اقبح الرذائل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما به علم من انهمك على العبادات وترك غيرها من الحقوق والاستحقاقات انه قال له وناهيك بذلك قولاً صدقاً (ان لبدنك عليك حقاً وان لاهلك عليك حقاً) فان آثر بخيره غيره ولم يرد اختصاصه كان من القوم الكرام الذين قال الله تعالى فيهم (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وحقق قول من يقول

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

﴿ الخصلة الخامسة ﴾

(فصل حب الوالدين وقضاء ما لهما على الولد من الدين)

واما حب الوالدين وقضاء مالهما على الولد من الدين ولو كانا للدين جاحدين فانه من القوانين الطبيعية فضلاً عن كونه من الفروض الشرعيه اذ من المعلوم بالضرورة لكل انسان ومن المحسوس لكل ذي ذوق وعرفان ان الوالد قد كان هو السبب في وجود ولده واول متكفـل بمدده ولا سيما الأم حيث كان الولد في الحقيقة قطعة من كبدها واول غذاء جسمه من لحمها ودمها وسائر جسدها وكانت تتجشم المشاق الشديدة والعنايات العديدة في حمله ووضعه وارضاعه ونفعه ومعنى حب الوالد استجلاب رضاه

بجميع وسائل الخير واستعطاف قلبه في كل ما يتمناه من انواع البر ودفع الضير قال الله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وروي في بعض كتب الاخبار من جميل الاثار عن بعض الفتيان الصالحين والشبان الناجحين وكان برا بوالديه انه كان يمتنع من مواكلة ابويه خشية ان تقع يده في طبق الفاكهة على ثمرة وقع عليها قبله نظرهما وتعلق بالاختصاص بها فكرهما ومن المعلوم ان الام مقدمة على الاب في وجوب الاحترام والتكريم كما لا يخفى على كل ذي طبع مستقيم ويشهد به كل ذي ذوق سليم روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك)

وفي بعض الروايات المشهورات وجوامع الكلم المأثورات الجنة تحت اقدام الامهات

وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنها قالت (اتتني امي وهي مشركة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسالته أأصلها قال نعم صلي امك)

ويحكى ان امرأة تخاصمت مع زوجها في ولد صغير لها منه عند بعض الحكام فقالت المرأة ايدك الله تعالى هذا ولدي كان بطني له وعاء وثديي له سقاء الاحظه اذا قام واحفظه اذا نام ولم اذل كذا مدة اعوام فلما كمل فصاله واشتدت اوصاله وتحسنت خصاله أراد ابوه ان يأخذه مني ويبعده عني فقال الحاكم للرجل قد سمعت مقال زوجتك فما عندك من الجواب قال صدقت ولكني حملته قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه واريد ان اعلمه العلم وافهمه الحكم فقال الحاكم ماذا تقولين في جواب كلامه ايتها المرأة فقالت صدق في مقاله ولكنه حمله ضعيفا وحملته ثقيلا ووضعه شهوة ووضعته كرها

فتعجب الحاكم من كلامها وقال للرجل ادفع لها ولدها فهي احق به منك فاخذته وانصرفت

وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اجاهد قال الك ابوان قال نعم قال ففيهما فجاهد

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ان من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب اباه ويسب امه

وبيان ذلك انه ينبغي للرجل الكامل والانسان العاقل ان ينزه فاه عن ان يكون هو السبب في ان رجلاً آخر يلعن اباه بان يبدأ بشتم والد ذلك الرجل فلا يتمالك الرجل الثاني ان يسب امه واباه رداً لما به بدأه كما قد يحصل ذلك كثيراً من اسافل الناس في جميع الاجناس وذكر القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) روي ان رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما

وروي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابي اخذ مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فائتني بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاساله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد ان تأخذ ماله فقال له سله يارسول الله هل انفقه الا على احدى عماته او خالاته او على نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا اخبرني عن شيء قلته في نفسك

ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته اذناي فقال قل فأنا اسمع فقال

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً . تعل بما احنو عليك وتنهل
اذا ليلة ضافت بك السقم لم ابت . لسقمك الا ساهراً اتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي . طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني . لاعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي . اليها مدى ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة . كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي . فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال انت ومالك لابيك (اهـ) نث

(استطراد لا بأس به)
على قول الشيخ في شعره وعلتك يافعاً اوردناه هنا حيث

قوله اخذ بتلابيب ابنه جمع تلبيب وهو ما يلي اللب (بفتح اللام) اي موضع الطوق من الملابس اي ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض على موضع الطوق من ملابس ابن الشيخ وسلمه لوالده قائلاً له انت ومالك لابيك

وجدنا ضابطاً لغوياً نافعاً نظم الشيخ الدماميني محشي مغني اللبيب اوصاف الانسان على حسب اختلاف اطوار حياته فقال

أصح صفات الآدمي وضبطها . لتلقط درّاً تقتنيه بديعا
(جنين) اذا ما كان في بطن امه . ومن بعد يدعى (بالصبي) رضيعا
فان فطموه (فالغلام) لسبعة . كذا (يافعا) للعشر قله مطيعا
الى خمس عشر (بالحزور) . لتحسن فيما تجتنيه صنيعا
كذاك الى خمس وعشرين حجة . (فتى) قد دعاه الفاضلون بديعا
(صملا) لحد الاربعين وبعده . (بكهل) الى الخمسين فادع سميعا
و شيخا الى حد الثمانين فادعه . بها ثم (هما) للممات رجيعا

الخصلة السادسة

(في فضيلة تربية الاطفال وابلاغهم لدرجة الكمال)

لا يخفى ان الولد بالنسبة للوالد هو كما يقال قطعة من الكبد بل هو له خير سند واقوى معتمد حتى ان البهيمة الخرساء

قوله في الضابط المذكور الحزور بالزاي المعجمة والراء المهملة في آخره على وزن أكول ويقال فيه ايضاً حزوز بفتح الحاء والزاي والواو المشددة والصمل بضم الصاد والميم وتشديد اللام على وزن عتل قال في القاموس والصحاح هو الرجل الشديد والهم بكسر الهاء

بالقوة الغريزية تحرص على حفظ ولدها كما في بعض الاحاديث الشريفة ان الفرس ترفع حافرها عن ولدها اذا وقع عليه خشية ان تؤذيه والولد ريحانة النفس قال بعض البلغاء ان الولد في الحقيقة هو ابو الجنس بمعنى ان الاولاد عليهم التعويل في بقاء النوع جيلا بعد جيل ولذلك وجب حبهم والاعتناء بهم ومعنى حبهم دوام تعهدهم باحسان تربيتهم واتقان ترقيتهم حتى يبلغوا مبلغ الرجال ويصلوا شأو الكمال وقال بعض الحكماء ان تربية الطفل يبتدأ بها من اول حمل امه به فضلا عن وقت وضعه او ترعرعه بان يعتني بتدبير حملها حتى تضعه على احسن وضع ثم متى انفصل عنها يعتني بحسن تدبيره روحا وبدنا حتى ينشأ منشأ حسنا فينفع بني جنسه دينا ووطنا فانه بعد ان يكون طفلا ضعيفا وغلاما نحيفا ربما صار ملكا هماما او بطلا مقداما او عالما نصوحا او خطيبا فصيحا مكلاما يحسن منه الوقع ويعم به النفع وربما كان في القماط رجل يحيي الرباط او ام اولاد يعمرون الوطن وينصرون الدين على طول الزمان ومما روي في فضائل الاعمال من محاسن الاقوال التي تناسب هذا المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام ان من حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه وادبه وفي حديث آخر يعلمه الكتابة والسباحة والرماية قال العلماء والمراد بذلك مطلق التربية وقال ابو هريرة رضي الله

تعالى عنه قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ابن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم احداً فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يُرحم

وعن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمهما ويقول اللهم ارحمهما فاني ارحمهما

وعن قتادة رضى الله تعالى عنه قال (خرج علينا رسول الله صلى عليه وسلم وأمامة بنت ابي العاص على عاتقه فصلى فاذا ركع وضعها واذا رفع رفعها) والعاتق الكتف وعن ام خالد بنت خالد بن سعيد (قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعلي قميص اصفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنه سنة (وهي بالحبشية حسنة قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني ابي (اي منعني وزجرني) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها ثم قال صلى الله عليه وسلم أبلي وأخلقي ثم أبلي

قوله أَبلي وأخلقي بفتح الهمزة في اولهما كما يقال الآن في التهنئة بلبس ثوب جديد تعيش وتبلى منه العدد العديد وذكر

وأَخلقي ثم أَبلى وأَخلقي قالَ الراوي فبقيتَ حتى ذُكرَ يعني من بقائها

﴿ الخصلة السابعة ﴾

(في فصل محبة نوع النساء والبنات وما وردَ في حقهن من التوصيات)

دلت الآثارُ وتواترت الاخبارُ فيما يعلم عن ان نوعَ المرأة كان اصلَ خلقها من ضلعِ ابينا آدم فهي الطفُ جزء منه واظرفُ بعض انفصلَ عنهُ وانها بطبيعتها ضعيفة وان كانتْ خلقةً شريفة خلقها الباري سبحانه وتعالى لتكونَ عوناً للذكر في جميع اطوار حياتها علىْ مشاق السفرِ في رحلةِ هذه الدار وسلوة له على ما يلاقيه فيها منَ الاكدار فلذلك وجبَ عليه اكرامها والرأفة بها (قال عليه الصلاةُ والسلام اتقوا الله في الضعيفين الرقيق والمرأة)

ومنْ ارقِ التعبيرات واذقِ الاشاراتِ ما ورد عنهُ عليه الصلاةُ والسلامُ منْ قوله في بليغ الكلام (ارأفوا بالقوارير) جمعُ قارورة وهي الانية من البلور اراد بهذا التعبير النساءَ بجامع الضعفِ واللطافة وسرعة العطبِ في كل منهما

وقد ورد عنهُ عليه الصلاةُ والسلامُ انه قال (بمَ يضربُ احدكم امرأته ضرب الفحل وفي رواية ضرب العبد ثمَ لعله يعانقها)

بضم الذال وكسر الكاف

وقولهُ بمَ منْ غيرِ الف بعدَ الميم اصلهُ بماَ اي لايّ سبب

واما الجواريُ الصغارُ فأنهنّ اولى بالرأفة والرحمة من النسوةِ الكبار حكتْ عائشةُ زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالتْ جائتني امرأةٌ معها بنتانِ تسألني فلم تجدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدة فاعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثمَّ قامتْ فخرجتْ فدخلَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلمَ فحدثتهُ فقالَ منْ يلي منْ شأن هذهِ البنات شيأ فأحسنَ اليهن كنّ لهُ سترا من النارِ وقولها فقسمتها بسكونِ التاء يعودُ على المرأةِ السائلة

ومن جملة الاحسان اليهنّ ان يجعلَ لهنّ حظاً من التربيه العمومية ومشاركة فيما يليقُ بحالهنّ من المزايا العلميةِ فضلاً عما يجبُ تمرينهنّ عليه من اصول حسنِ تربيةَ الاطفالِ واشغالَ الخياطةِ والتطريزِ وحسنَ تدبيرِ المنازلِ والمحالّ فان ذلك يزيدهنّ جمالاً وعفةً وكمالاً

❋ الخصلة الثامنة ❋

«في فصل صلة الارحام على الوجه العام»

الرحمُ مشتقةٌ من الرحمةِ قالوا والرحمةُ رقةٌ في القلب تقتضى والاحسانُ التفضلَ والمرادُ بصلةِ الرحمِ دوامُ التوددِ للاقاربِ بالزيارةِ والتفقدِ لهمْ بالاحسانِ اليهمْ ومساعدتهمْ بكلِ ما تيسر من الوجوه الخيرية منْ غيرِ قصد مكافأة ، ولو حصلت القطيعة من طرفهم

ـالصلة هيَ ان تصل من قطعك وتعطي من منعك ممن جمعكَ واياه جامعة رحم كما وردَ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصلَ الذي قطعت رحمه فوصلها)

وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال (ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضينَ ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال هو لكِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقروءا ان شئتم قوله تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا وتقطعوا ارحامكم) وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ لهُ في اثره فليصل رحمه

وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته

قوله ينسأ بضم الياء المثناة التحتية في اوله وبفتح السين في آخره همزة بمعنى يؤخر في اثره اي يبقى ذكره والشجنة مثلثة الشين أي يجوز فتحها وضمها وكسرها معناها كما في الصحاح عروق الشجر المشتبكة يقال بيني وبينه شجنة رحم أي قرابة مشتبكة كاشتباك عروق الشجرة بعضها ببعض

وعنه عليه الصلاة والسلام انهُ قال ايضاً لا يدخل الجنة قاطع رحم .

وفي الحديث الشريف ايضاً الرحم شجنة من الله عزوجل

الخصلة التاسعة

(في فصل تعاون المؤمنين فيما بينهم وفضيلة اصلاح ذات بينهم)

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ومنزل خطابه (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين اصابعه

وعنه عليه الصلاة والسلام قال ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى

وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انهُ قال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده

وقال عليه الصلاة والسلام ايضاً المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج

عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة

ويقرب من هذه الرواية ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من طريق آخر انه قال من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسرَ على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه

ومن هذا القبيل ايضاً ما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا واشارَ

قوله نفس بتشديد الفاء من التنفيس بمعنى التفريج

تناجشوا بالجيم في وسطه بمعنى لا يزد بعضكم على عطاء بعض في البيع والزواج وما اشبههما لا لاجل ان يأخذ السلعة المعروضة بعطائه بل لاجل ان يغر غيره فيوقعه فيها وتدابروا بمعنى لا تنقاطعوا اي لا يقطع بعضكم بعضاً

الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وبقية هذه الرواية على سبيل الاستطراد وان كانت بغير هذا المقام اليق والاستشهاد بها على غير ما هنا انسب واحق هي قوله عليه الصلاة والسلام (ومن سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه) (١)

﴾ الخصلة العاشرة ﴿

« في فضل من يعين يتيماً او مسكيناً او يكون للأرملة معيناً »

قد اوصى الله سبحانه وتعالى في اكثر من موضع من قرآنه الكريم على المسكين واليتيم فقال تعالى وهو الحكيم العليم (فاما اليتيم فلا تقهر. واما السائل فلا تنهر) وقال تعالى (فذلك الذي يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين) أي يقهر اليتيم ويزجره

(١) قوله بحسب امرىء من الشر أي يكفي الانسان من الشر ان يحقر اخاه المسلم بضم الياء في قوله يحقر وقوله وغشيتهم الرحمة بكسر الشين المعجمة اي شملتهم الرحمة

ويدفعه عن حقه والدع بتشديد العين في آخره الدفع وقال تعالى ايضاً (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً)

ووردت النصوص في السنة النبوية والطريقة المصطفوية بالتنبيه على فضل هذا المقام بالخصوص فقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال أي أشار باصبعيه السبابة والوسطى

وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل

وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال ان خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه)

ويقرب من هذه الرواية قوله عليه الصلاة والسلام (ان احب البيوت الى الله تعالى بيت فيه يتيم يكرم)

قوله يحسن اليه ويساء اليه ويكرم كلها بضم الياء المثناة التحتية في اولها وفتح السين والراء اللتين بعدها

﴾ الخصلة الحادية عشرة ﴿

« في فضيلة اكرام الضيف والجار وما ورد فيها من صحيح الآثار »

تواترت الآثار من قديم الاعصار على ان الضيافة التي هي عبارة عن ايواء الغريب واطعامه من غير تكلف بما تيسر من الطعام وغير ذلك من انواع الاكرام هي من المزايا المشرقية بل الفضائل الاسلامية ولا سيما عند العرب ولذلك كانت من جملة القرب التي ترفع فاعلها عند الله تعالى الى أعلى الرتب وأولى بذلك اكرام الجار لمراعاة حق الجوار كما دلت عليه الاخبار حكي ابوشريح العدوي رضي الله تعالى عنه قال سمعت أذناي ورأت عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قيل وما جائزته يارسول الله فقال يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه)

ومما ورد في الحث على اكرام الجار ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه)

وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يارسول الله قال الذي

لايأمن جاره بوائقه) (١)

وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال(يانساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت (قلت يارسول الله ان لي جارين فالى ايهما أُهدي قال الى اقربهما منك بابا) (٣)

﴿ الخصلة الثانية عشرة ﴾

«في فضل الرأفة بالحيوان وما يلزم له من الاحسان»

سخر الله سبحانه وتعالى لنوع الانسان سائر أنواع الحيوان لينتفع بها ويستخدمها في حاجاته المعاشية ولذاته الانتعاشية بشرط ان يكرمها ولا يعذبها بل يحسن اليها ويحترمها ويتعهدها بما يلزم لها من الموءنة ويتفقدها بما يصلح شأنها من انواع الاحسان والخدمة شكرًا لما خوله الله سبحانه وتعالى فيها من النعمة فقد نص الفقهاء على تحريم تعذيب الحيوانات في جميع الحالات غير الفواسق الخمس المعروفات حيث يجوز قتلها في الحل والحرم لكونها بالطبع من الموءذيات والموءذي طبعاً كما قالوا يقتل عقلاً وشرعًا وهي كما في نص الحديث المأثور (الغراب والحدأة

---

(١) قوله في الحديث بوائقه من أوبق يوبق بمعنى أهلك والبوائق المهلكات (٢) والفرسن بكسر الفاء والسين بينهما راء ساكنة معناه ظفر الشاة (٣) وأُهدي بضم الهمزة في اوله

والفأرة والعقرب والكلب العقور) وقاسوا عليها كل ما كان من قبيلها كسباع الوحوش والطيور والخنوش وسائر الهوام ذوات السموم وغيرها مما طبيعته الايذاء والتخريب وانما أجازوا قتلها بغير تعذيب

روي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال (ان الله عز وجل كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحدّ احدكم شفرته وليرح ذبيحته) (١)

وفي الحديث الصحيح (ان امرأة عذبت في هرة حبستها

---

(١) قوله كتب بمعنى أمر وطلب وقوله فأحسنوا بفتح الهمزة في اوّله والقتلة والذبحة بكسر اوّلهما هيئة القتل والذبح .

قوله وليحد بمعنى ليسن شفرته والشفرة المدية بضم الميم المعروفة بالسكين يعني ان من جملة الاحسان المطلوب ان يحد القاتل او الذابح شفرته اذا كانت مثلمة حتى تكون سلاحاً ماضياً يسرع به القتل او الذبح اجتناباً للتعذيب وقوله وليرح من اراح يريح قالوا ومعنى اراحة الذبيحة ان يسقيها ويبسطها على مكان سهل ولا يسرع بسلخ جلدها قبل ان تبرد وخشاش الارض الحشرات والهوام

لا هي اطعمتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض)

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيه فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث ياكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له (قالوا يارسول الله ان لنا في البهائم لاجرًا فقال في كل ذات كبد رطبة اجر) (١)

﴿ الخصلة الثالثة عشرة ﴾

«في فضل زراعة الارض وغرس الاشجار وما ورد فيها من الاخبار»

لا يشك عاقل في ان الزراعة هي افضل صناعة واربح بضاعة لانها هي الام المغذية والمادة الممونة لنوع الانسان وسائر انواع الحيوان وهل يقي المجاعة غير الزراعة وان الفلاح الذي يبذل عافيته لتحصيل ما يفوق كفايته من الثمرات لتغذية ابناء جنسه وغيرهم من المخلوقات لاولى بالاكرام من كل ذي صناعة واحق بالاحترام من كل ذي بضاعة ولولا اجتهاد الفلاح لما عاش احد من ذوي الارواح ولذلك ترى ارباب النفوس الكريمة من السلف والخلف تتعلق همتهم بهذه الحرفة العظيمة ويعترفون لها بالشرف ولا يحتقر ارباب صناعتها الا جاهل بفضيلتها

قوله يلهث اي يخرج لسانه من شدة العطش والثرى التراب

ومما ورد في الدلالة على علو مرتبتها قوله عليه الصلاة والسلام ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه انسان او دابة الا كان له صدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال التمسوا الرزق من خبايا الارض والخبايا جمع خبيئة بمعنى مخبوءة اي المستور في بطن الارض قال العلماء الأولى بمقام البلاغة والفصاحة حمله على الفلاحة لا على الكنوز والمعادن وما في بطن الارض من الركاز والدفائن

وذكر المؤرخون انه قد كان من اصول دولة الفرس المستحسنة في ايام صولتهم وانتظام دولتهم ان يبرز الملك بجلالته في اعيان اهل دولته ويباشر حراثة الارض بنفسه في اول يوم من ايام السنة تنويهاً بشرف الزراعة وتنبيهاً على ما يقتضي لاهلها من التشويق والشجاعة

ويحكى ان كسرى انوشران ملك فارس مر على شيخ يغرس شجر الزيتون فقال له ايها الشيخ ليس هذا اوان غرسك الزيتون لانه شجر بطيء الثمر وانت شيخ هرم فقال الشيخ ايها الملك قد غرس من قبلنا فاكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا فقال كسرى (زهي) وهي كلمة فارسية تقرأ بفتح الزاي وكسر الهاء بعدها ياء مثناة تحتية في آخرها معناها احسنت وكان من اصولهم اذا قالها الملك يعطى من قيلت له اربعة آلاف درهم فدفعت للشيخ في الحال

فقال ايها الملك كيف رأيت غرسي فما اسرع ما أثمر فقال الملك (زهي) مرة ثانية فزيد الشيخ اربعة آلاف درهم اخرى فقال ايها الملك كل شجرة تثمر في العام مرة واحدة وشجري أثمر في الساعة مرتين فقال الملك (زهي) مرة ثالثة فزيد الشيخ مثلها ثم مضى كسرى منصرفا وقال لاصحابه انصرفوا فلئن وقفنا لم يكف الشيخ باقي خزائننا ومعناه ان الملك لو وقف لقال الشيخ ان شجري اثمر في الساعة الواحدة ثلاث مرات فيضطر الملك لاستحسان قوله فيعطى له العطاء مرة رابعة وخامسة وهكذا حتى ينفد ما في خزائن المملكة ولا يكتفي الشيخ

﴿ الخصلة الرابعة عشرة ﴾

« في فضل حسن المعاملة والرفق وتحسين الخلق مع جميع الخلق »

معاملة جميع الناس بالرفق وحسن الخلق من دلائل الطباع المعتدلة واخلاق الرجال الكملة وهي مما يوجب الاقبال والائتناس قال الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وقال تعالى خطابا لنبيه عليه الصلاة والسلام وتعليما لجميع الانام (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (الا انبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال ان شراركم الذي ينزل وحده

ويجلدُ عبدهُ ويمنعُ رفدهُ أفلا انبئكم بشرٍ من ذلكَ قالوا بلى يارسولُ اللهِ قالَ منْ لا يرجى خيرهِ ولا يؤمنُ شرهُ افلا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال الذينَ لا يقيلونَ عثرةً ولا يقبلونَ معذرةً

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ايضاً (اتقِ اللهَ حيثما كنتَ واتبعْ السيئةَ الحسنةَ تمحها وخالقِ الناسِ بخلقٍ حسن)

ومن احاديثِ الشمائلِ التي تقتضي ان تكون قدوة لكل انسانٍ كامل انَّ الحسين بن علي رضيَ الله تعالى عنهُ قال سألتُ ابي عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقالَ كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب (١) ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح (٢) يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه ولا يجيب فيه قدْ ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا

---

(١) الصخاب الكثير اللغط

(٢) قوله ولا مشاح بضم الميم في اوله وتضعيف الحاء المهملة في آخره من المشاحة التي هي ضد المسامحة

قوله ولا يجيب فيه بالجيم اي ادا طلب منه غيره شيئاً لا يشتهيه لا يؤيسه منه ولا يجيبه بل يسكت وفي بعض الروايات

يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيبه ولا
يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق
جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده
حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه
ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسئلته حتى ان كان اصحابه
ليستجلبونهم ويقول اذا رايتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه ولا
يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز
فيقطعه بنهي او قيام

﴿ الخصلة الخامسة عشرة ﴾

«في فضل مدارة الناس وما يلزم في معاملتهم من الاحتراس»

المدارة مشتقة من داريت فلانا أي لاطفته والمراد بمدارة
الناس عدم مواجهتهم بما يكرهون وملاطفتهم للحصول منهم على
صحيح القصد بدون ان يتضرر لذلك احد قال الله تعالى في
قصه اهل الكهف (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينه فلينظر

بالخاء المعجمة وقوله المراء بكسر الميم في اوله معناه الطعن والاعتراض
على الغير تزييفاً لقوله وتصغيرا لقائله وقوله فارفدوه اي فاعطوه
بفتح الهمزة في اوله وقوله حتى يجوز اي يتعدى الحد والضمير
في قوله يقطعه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم

ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احداً) وشاهد الاية في قوله وليتلطف ولا يشعرن بكم احد وروي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت (استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وانا عنده فقال بئس ابن العشيرة او اخو العشيرة ثم اذن له فلما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قد قلت ما قلت ثم النت له القول فقال ياعائشة ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه)

وروي عنها ايضاً انها قالت (دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم قالت عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلاً ياعائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يارسول الله او لم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم) وفي رواية اخرى فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ (والسام الموت) وروي عنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه كان عنده رجل به اثر صفرة قال الراوي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يواجه احدا بشيء يكرهه فلما قام قال للقوم لو قلتم له يدع هذه الصفرة) وذكر عن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه انه قال (انا لنبش

وفي رواية اخرى لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم)

وما اصدق ما قالوا ان من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي ان حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق) ومقتضاه ان من رزق المداراة لم يحرم من التوفيق الالهي وقد قالوا ايضاً العاقل هو الذي يحسن المداراة مع اهل زمانه ولذلك جعلت مراتب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثاً قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكراً فليغيره بيده (يعني بالفعل ان امكنه ولم يخش ضرراً) فان لم يستطع فبلسانه (يعني بالقول بان ينهى عنه فان لم يستطع فبقلبه يعني فلينكره بقلبه بان يعتقد انه منكر ويقول في نفسه كما ورد في الاثر اللهم ان هذا منكر لا يرضيك والمنكر ما انكره الشرع وضده المعروف وهو ما عرفه الشرع يعني كل ما امر به الشارع على سبيل الايجاب او الندب والاستحباب)

﴿ قول جميل وفصل جليل ﴾

(في بيان امهات الفضائل وبعض ما يتفرع عنها من جميل الشمائل وما يناقضها من الرذائل)

اجمع علماء الاخلاق على ان جميع اجناس الفضائل التي

لا تحتاج النفس في اكتساب كمالها الى غيرها مجتمعة في اربعة اصول هي امهات الفضائل الاصلية ويتفرع عنها جملة شمائل كثيرة فرعية والفضائل الاصلية هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولنسردها على وجه الاختصار فنقول

﴿ الفضيلة الاصلية الأولى الحكمة ﴾

فاما الحكمة فهي فضيلة او ملكة يعني صفة توجد في الانسان يتيسر بها للنفس الانسانية الاقتدار على الافعال الخيرية على قدر الطاقة البشرية وقال بعضهم الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للنفس وما عليها يعني حقوقها وواجباتها وهي المشار اليها بقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وبقوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن يأخذها اين وجدها

والضالة من الأبل وما أشبهها التي تبقى ضائعة بلا رب يعني ان الحكمة هي حق المؤمن وهو اولى بها دن غيره يأخذها اين وجدها كما فسره في آخر الحديث المذكور ومما ورد في الحكمة ايضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه

الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس)

والحكمة كلمة جامعة لجميع خصال الخير التي المنا بذكر بعضها فيما تقدم واصلها صحة الفكر والروية والتمييز بين النافع والضار في سائر الاشيـاء فان بلغت حد الافراط اي الزيادة ومجاوزة الحد سميت بالسفه ويقال لها ايضاً الجريزة والجريزة في اللغة ما يجره الانسان لنفسه من ذنب ونحوه وفي الاصطلاح استعمال الفكر فيما لا ينبغي كما لا ينبغي وهي من الرذائل

وان بلغت لحد التفريط اي النقصان سميت بالغباوة وهي تعطيل القوة الفكرية والوقوف عن اكتساب العلم النافع وهي من الرذائل ايضاً كما لا يخفى

وحينئذ فالحكمة هي عبارة عن الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجريزة والغباوة ويتفرع عنها كثير من الخصال الحميدة كما يتفرع عن الرذيلتين المقابلتين لها بالزيادة والنقصان فيها ايضاً كثير من الخصال المذمومة (تنبيه) قد فهم مما ذكر هنا ان الحكمة غير الطب وان كانت قد جرت عادة العامة بتسمية الطبيب حكيماً ولعل سبب ذلك ان الطبيب لداعي احاطته غالباً بمعرفة حقائق الاحوال الصحية والمرضية وخبرته بخواص المواد الطبية ومنافعها ووضع الاشياء التي من هذا القبيل

في مواضعها يكون حائزًا ايضاً لفضيلة الحكمة

﴿ ذكر بعض ما يتفرع على فضيلة الحكمة الاصلية من الفضائل الفرعية ﴾

« في فضل التقوى والتمسك بالسبب الاقوى »

ان اعظم ما ينشأ عن فضيلة الحكمة الاصلية من الفضائل الفرعية هو تقوى الله سبحانه وتعالى كما قيل في الحكمة المشهورة والكلمة الجامعة التي هي في كتب المواعظ مذكورة (رأس الحكمة مخافة الله) اي اتباع الشرائع المشرعة وما يليها من سنن الانبياء المتبعة بمعنى امتثال المأمورات واجتناب المحظورات وضدها الاستهتار وهو اتباع الهوى وعدم المبالاة وهو ارذل الرذائل وكفاه ذماً قول الله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه)

وتقدم في غير هذا الموضوع ايراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)

﴿ في فضل العلم والتعليم وذم الجهل الذميم ﴾

ومنها العلم وهو معرفة الاشياء على ما هي عليه وضده الجهل وفضل العلم على الجهل أظهر من ان يذكر وقد ورد ما يؤيد ذلك في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) وقوله تعالى(رب زدني علماً) وقال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون) وقال تعالى (وما يعقلها الا العالمون) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وانما العلم بالتعلم)

ومما روي ايضاً في فضل العلم (ان العلماء ورثة الانبياء ورثوا العلم من اخذه فقد اخذ بحظ وافر ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة)

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال (ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا صغير وقال اللهم علمه الكتاب) ومن قول ابن عباس رضي الله عنهما ايضاً كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء (والكتاب من غير تاء هو الكتابة بالتاء) ويقال الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وعن معاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة قال وهو المؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار في الدرجات العلى وبه تنال مجالسة الملوك والامراء في الدنيا ومرافقة الابرار في

الآخرة والفكر في العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام وبه يعرف الله ويوحد وبه يطاع ويعبد) وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وانه ليوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل احدهما على الآخر) (والمداد الحبر) ولغدوة في طلب العلم احب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج احد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معاً فعليه بالعلم)

وبالجملة فكفى بالعلم شرفاً كما قاله سيدنا علي رضي الله عنه ان يدعيه من لا يحسنه فيفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة ان يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وما انصح وافصح ما قيل من اوضح الاشعار

تعلم يافتى فالجهل عار ولا يرضى به الا حمار

مزية العقل وما ذكر لها من الفضل

العقل هو قوة للنفس يحصل بها التمييز بين القبيح والحسن والخير والشر والنافع والضار ويسمى ايضاً باللب بضم اللام وجمعه

الباب ومن اسمائه الحجا بكسر الحاء المهملة لكونه حجة لله على العبد والنهى بضم النون لنهيه صاحبه عما لا يليق والحجر بكسر الحاء لحجره عن ركوب المناهي وهو نهاية ما يمنح الله سبحانه وتعالى العبد به من الخير المؤدي الى صلاح الدنيا والآخرة وقد نص الله سبحانه وتعالى على شرف العقل في كتابه العزيز ومحكم خطابه الوجيز حيث قال (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (انه قال أوّل ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اعزّ عليّ منك بك آخذ وبك أعطي وبك احاسب وبك اعاقب)

وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً (ان الجنة مائة درجة تسع وتسعون منها لأهل العقل ودرجة واحدة لسائر الناس)

وضد العقل الحماقة وهي طبيعة مذمومة جدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى) حيث حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل

فضلُ الصدق والامانةِ وما يقابلهما من الكذب والخيانةِ

ومن لوازم الحكمةِ ايضاً الصدقُ وهوَ الاخبار عن الشيء

بما هو عليه وضده الكذب ومنها الامانة وضدها الخيانة والصدق والامانة من أجل الفضائل كما ان الكذب والخيانة هما من ارذل الرذائل قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وناهيك في التنفير عن الكذب ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) والكذب والخيانة من علامات المنافقين قال عليه الصلاة والسلام (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان) وقوله صديقا بكسر الصاد والدال المشددة والآية العلامة ومن مزايا الصدق ان الذي يعرف به يصدق ولو كذب في بعض الاحيان كما ان من رذائل الكذب ان من عرف به لا يصدق ولو صدق في بعض الاحيان واكبر ما تكون شناعة الكذب والخيانة اذا وقعت فيما يتعلق بالعلم ونقوله لانها حينئذ تكون افتراء على الله ورسوله ولا سيما ممن كان لاقراء العلم منتصبا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح الاخبار (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)

فضل الصمت وما يترتب على الفضول من المقت

ومن دلائل الحكمة وافضل الفضائل المهمة الصمت وقلة الكلام احترازًا عما تؤدي اليه اللقلقة وكثرة التشدق من الوقوع في الآثام لانه قيل من كثر لغطه كثر سقطه ومن علامات الفضل الاقلال من القال والقيل اذ ليس مع الفضل فضول كما قيل اللهم الا فيما يعني الانسان وعلى كل حال فالأولى بالعاقل صون اللسان والفضول عبارة عن التعرض لما لا يعني والمراد بما لا يعني ما ليس فيه مصلحة صحيحة فانه لا اقل من انه يؤدي الى الفضيحة قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقال تعالى (ان ربك لبالمرصاد) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وتقدم في غير هذا الموضع ايراد قوله عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا او ليصمت) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل حين قال له يارسول الله اخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار في حديث طويل الى ان قال صلى الله عليه وسلم فيه ألا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قلت بلى يارسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة

(١)وذروةُ سنامهُ الجهادُ ثمّ قالَ ألاَ اخبركَ بملاكِ ذلكَ كلهِ قلتُ بلىَ يارسولَ اللهِ فاخذَ بلسانهِ وقالَ كفّ عليكَ هذاَ قلتُ يارسولَ اللهِ وانا لمؤاخذون بماَ نتكلمُ بهِ فقالَ ثكلتكَ امكَ وهلْ يكبُ الناسَ في النارِ علىَ وجوههمْ اوْ قالَ علىَ مناخرهمْ الاّ حصائدَ السنتهمْ

﴿ فضل الوفاء بالوعد ورعاية مقتضى العهد والعقد ﴾

ومن شيم النفوس الكريمة ولوازم العقول الحكيمة الوفاء بالعهود ورعاية ما التزم به الانسان واعطى به قوله من العهود والعقود حيث يعظم به صاحبه في العيون ويتحقق فيه خير

(١) وذروة سنامه بكسر الذال أعلى السنام بكسر السين وهو القطعة المرتفعة من ظهر الجمل والملاك بكسر الميم وتفتح قوام الامر الذي يملك به وقوله كف عليك هذا يقرأ بضم الكاف وتشديد الفاء مفتوحة وقوله ثكلتك امك بفتح الثاء المثلثة من فوق وكسر الكاف معناه فقدتك امك ويكب بضم الياء المثناة من تحت وكسر الكاف معناه يوقع والحصائد بالهمزة فوق الياء جمع حصيدة بمعنى محصودة وهي الزرع المقطوع والمراد بها هنا الكلام الموجب للآثام او بالياء المثناة قبل الدال في اخره جمع محصد علي وزن منبر معناه المنجل شبه به اللسان

الظنون وارجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي هو اقوى برهان

قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) وقال جل ذكره وتعالى قدره (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق)وقال جل وعلا ايضاً (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) وقال تعالى (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا) والنصوص في هذا الخصوص كثيرة جداً واكثرها فيه تشديداً ووضوحا وتاكيداً قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) وسبق في غير هذا الموضع مما يرجع ايضاً لهذا المقام ايراد قوله عليه الصلاة والسلام (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان)

وكما ان الوفاء بالوعد من شيم الكرام فالغدر من لوازم اللئام وفي المثل السائر (خلف الوعد خلق الوغد) والاولى بالعاقل ان لا يعد الاّ بما يقدر عليه ولا يعقد قوله الاّ بما تيسر في يده وهذا امر غير خفي كما قالوا ايضاً (أقِلّ من النذر وأوفِ) ومحل ذلك كله في الوعد من وعد يعد بالخير واما الوعيد المشتق من اوعد يوعد أي بالشر فلا ينعقد به نذر واخلافه كما لايخفى هو من مكارم الاخلاق بالاتفاق

شعر

وإني وإن اوعدته أووعدته ‏ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

﴿ فضيلة النظافة وما يلزمها من اللطافة والظرافة ﴾

ومن اعظم لوازم الحكمة النظافة التي هي شعار اهل اللطافة والظرافة ومحلها البدن والثياب والطعام والشراب والمسكن وهي أمر مستحسن في كل ماظهر من الانسان اوبطن ولا سيما فيما يتعلق بالمسكن بل هي أعظم وسائل حفظ الصحة التي هي من عند الله اعظم منحة ويعبر عنها في لسان اهل الشرع بالطهارة وهي التنزه عن الدنامة بمعنى النجاسة اذ كل ذي ذوق سليم وطبع مستقيم فضلاً عن الرجل الحكيم يأنف من أن يلحقه أدنى شيء من القذارة ولنظافة البدن تاثير عظيم على طهارة الروح حيث ينشأ عنهـا خفة الجسم وسرعة الادراك والفهم وكأن المرء عقب الاغتسال انما نشط من عقال بخلاف من يتراكم عليه الوسخ والدرن حيث يجد ثقـلاً في البدن ولذلك فرضت الاغتسالات قبل الصلوات قال الله تعالى (ياايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين)وقال تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)وقال تعالى خطاباً لنبيه عليه الصلاة والسلام (وثيابك فطهر والرجز فاهجر)والقول الفصل في هذا المقام قوله

عليه الصلاة والسلام (النظافة من الايمان) وكفاك بذلك على لزوم النظافة من برهان

﴿ الفضيلة الاصلية الثانية ﴾

« العفة »

واما العفة أو العفافة فهي فضيلة يقتدر بها الانسان على ضبط النفس عن الشهوات البهيمية الفانية والاقتصاد في اللذات الجسمية المباحة وهي عبارة عن اعتدال شهوة البطن أي الشهوة في المآكل والمشارب وغية التانق في الملابس وشهوة الفرج أي الاكثار من الزواج وشهوة التكاثر في انواع الاموال كالذهب والفضة والماس وانواع الفرش والآنية وغيرها من العلاقات الدنيوية التي عاقبتها للزوال ويعبر عن ذلك بالزهد في الدنيا وهو أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن ويقال له ايضاً الورع وهو تحري الحلال من الرزق لقصد كف النفس عن المحارم المشار اليه بقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله

ألا وهي القلب) فان خرجت العفة عن طريق الاعتدال فان كان الى النقصان صارت هي كلال الشهوة أي ضعفها وان كان الى الزيادة بان خرجت عن حدّها فانها حينئذ ترجع الى ضدها وهو النهم أي الشره في الطعام والشراب ويقابلها القناعة فيهما ثم الاسراف في الملابس وهو الزهوّ فيها ويقابله القناعة فيها وهي الاقتصار على مافيه حسن السمت بمعنى الهيئة ثم الانهماك على الزواج ويقابله الاقتصاد فيه والطامة الكبرى والمصيبة العظمى في هذا الخصوص هو الاغترار بالذهب والفضة وسائر انواع الاموال المدنية وامتعة الدنيا الدنية ويقابلها عموم القناعة والعفاف والرضا بالرزق الكفاف

(ذكر بعض ما يتفرع عن فضيلة العفة الاصلية من الفضائل)
وما يناقضها من الرذائل

﴿ فضيلة القناعة في المآكل والمشارب وما يترتب على النهم من ﴾
(سوء العواقب)

اما القناعة في المأكل والمشرب بمعنى الصبر على ضيق العيش من الظمأ والسغب فهو من افضل فضائل الادب المشهود لها من قديم الحقب وعلى الخصوص لأمة العرب روى في الآثار الصحيحة

قوله الظما العطش والسغب الجوع

والاخبار الرجيحة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت (ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم)وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)وفي رواية أخرى (ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولافي سكرجة ولا خبز له مرقق (وروى في قصة الهدية التي اهداها المقوقس صاحب مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلاة والسلام رد الطبيب عليه وقال (لاحاجة

قوله طاوياً جائماً والخوان بكسر الخاء المعجمة في أوله الآلة المرتفعة التي تهيا للأكل عليها قال العلماء وهي بدعة حسنة لاباس بها

والسكرجة بضم أحرفه الثلاثة في اوله وتشديد الراء وقد تفتح هي الاواني الصغيرة التي يوضع فيها المقويات لشهوة الطعام والشراب كانواع السلطات والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل على مائدة فيها هذه الاواني المشتملة على مايهضم الطعام لانه لم يكن يأكل حتى يشبع والمرقق الخبز الرقيق الصنعة المعروف بالرقاق بضم الراء والمراد به الخبز الخاص

لنا بالطبيب نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع)
والنهم خصلة شنيعة ورذيلة فظيعة لاتنكر وهي أوضح من أن ينبه
عليها او يحذر منها وتذكر واقبحها التعود على المسكرات وتعاطى
سائر انواع المغيبات والمخدرات نعم ان تعاطي الاغذيــة
الطيبة بقدر مايقوم بحاجة البدن وأداء ماتكلف به الانسان من
التكليفات العقلية والشرعية هو من الضروريات الطبيعية قال
الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون) وقال تعالى (ياأيها الناس كلوا مما في
الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)
غير ان الاسراف في هذه الشهوة الجسمانية أو الخطوة الشيطانية
هو من أشنع الرذائل وأفظع الخصائل وأقل مايترتب عليها في
الدنيا سقوط الاعتبار والجـاه والوقوع في التخمة التي كثيراً
ماتؤدي الى فقد الحياة قال النبي عليه الصلاة والسلام (المعدة
بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة قالوا وما
البردة يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام هي ادخال الطعام
على الطعام)

ومن المعلوم بدليل المشاهدة التي لاتنكر أن ادمان شرب
الخمر يؤدي الى قصر العمر المؤدي الى القبر وهذا أقل رذائله
في هذه الدار ولا خير في لذة من بعدها نار وما أظرف ما قالوا

(ان من كانت همته فيما يدخل في بطنه فقيمته مايخرج منها)
وقالوا أيضاً (ان من المروءة أن يقوم الانسان عن الطعام ونفسه تشتهيه)

﴿ فضل حسن السمت الجميل وذم الزهو في الملبوس الثقيل ﴾

وأما الاسراف في الملابس فانه اذا خرج عن حد حسن السمت المقبول يكون من قبيل الزهو في الملبوس المذموم عند ذوى العقول ولا سيما اذا أوقع صاحبه في ارتكاب الدين الثقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم (قصر ثيابك فانه أتقى وأنقى وأبقى)

﴿ فضل الاقتصاد في المسكن والاقتصار منه على القدر المستحسن ﴾

لاباس باتخاذ البيوت النيرة المنظمة والمساكن التي هي على وفق قانون الصحة مقسمة على وجه مستحسن اذ هي أولى بفضيلة الحضارة والتمدن من الاقامة تحت الخيام التي يتخذها الاعراب ومن هذه العشش والاخصاص التي هي أقرب الي اجحار الضباب الخربة

قوله اتقى بالتاء المثناة الفوقية معناه اكثر تقوى وانقى بالنون الموحدة الفوقية معناه اكثر نقاء اي نظافة وابقى بالباء الموحدة التحتية اي اكثر بقاء واستمراراً

من كونها بمساكن طيبة وانما المكروه ما كان منه فوق الحاجة من التعالي في القصور المشيدة كما فهم من فحوى الحديث الشريف فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان من علامات آخر الزمان ان ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطالون في البنيان)

ومن الآثار الدالة على الكراهة انه صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة (١) فقال ما هذه فقالوا هذه لرجل من الانصار فجاء الرجل فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام فاعرض عنه وفعل ذلك مراراً فهدمها الرجل

﴿ فضل الزهد في الذهب والفضة وسائر الامتعة الدنيوية ﴾
(وتنزيلها في منزلتها الحقيقية)

وكما قيل في الحكم المشهورة والكلم الجوامع المأثورة (راس الحكمة مخافة الله) فكذلك يقتضي ان يقال ان راس العفة الزهد في الامتعة الدنيوية وتنزيلها في منزلتها الحقيقية فان هذه

قوله الحفاة بضم الحاء المهملة جمع حاف والعراة مثله جمع عار والعالة بفتح العين المهملة جمع عائل وهو الفقير والرعاة بضم الراء ايضاً وهاء في آخره وفي رواية رعاء بهمزة ممدودة جمع راع والشاء بالمد والهمز في آخره جمع شاة

(١) القبة المشرفة العالية

هي مرتبة القناعة الكاملة ومنقبة العفة الفاضلة ولا سيما فيما يتعلق بحب الدنيا والدرهم لذاتهما والاغترار بغرور لذاتهما معان وظيفتهما انما هي مجرد كونهما هما الواسطة في تسهيل المعاملات الدنيوية وتحصيل الخيرات الاخروية لا غير ولذلك كان الشغف بهما لقصد اكتنازهما نوعاً من الجنون وكان المبتلي بهذه البلية انما هو مغرور مفتون قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

ومما روي في بعض الآثار (ان اخوف ما اخاف على أمتي يوم القيامة حب الدرهم والدينار)

ومن اظرف ما قيل في التنفير من الغرور بالدينار والدرهم

﴿ كيف يهتم بما آخره النار والهم ﴾

وكذلك الحال في سائر انواع امتعة الدنيا فان من تأمل لها بالتدقيق ونظر اليها بعين التحقيق علم حقيقة ما هو في هذا المعنى من الحكم المأثورة اعني ان الدنيا انما هي وسيلة الآخرة وكما قاله سبحانه وتعالى (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وقال تعالى ايضاً (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ومما ورد في تحقيرالدنيا قوله عليه الصلاة والسلام (مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها)وقوله عليه الصلاة والسلام ايضاً(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء)وروي عنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (حب الدنيا رأس كل خطيئة)وقال ايضاً (من أحب دنياه اضر بآخرته ومن أحب آخرته اضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى)

وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة بقوله (كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة (وتحبون المال حباً جما) (وانه لحب الخيرلشديد)والخيرالمال (وفي بعض الاخبارالنبوية والآثارالمصطفوية ايضاً (من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ماقدر له)

ومما ورد في فضل الاقتناع وذم الاطماع ماجاء في تفسيرقوله

تعالى (من عمل صالحاً من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)ان المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم (القناعة مال لاينفد)وقيل ماالقناعة يارسول الله قال اليأس مما في ايدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر ومن كلام بعض الحكماء

الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع

ومن ابدع ماقيل في تصوير حقيقة الدنيا من هذا القبيل قول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه شعر

وما هي الاجيفة مستحيلة عليها كلاب همهنّ اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها

وهل المقصود بماورد من النصوص في هذا الخصوص القعود عن الاشغال والاعتماد على التكاسل والاهمال لابل لم يزل السعي على مايصلح به الانسان شانه مطلوباً والاجتهاد لتحصيل مايقضي به الحقوق الواجبة عليه مرغوباً مع النظر بعين الاحتقار لحطام هذه الدار فان الدنيا هي مزرعة الآخرة كما ورد في بعض الاخبار المتواترة ومما أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام من وجه آخر انه قال (نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه وبئست الدار لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضاء ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه) ومن المأثور عن سيدنا على كرم الله وجهه (اعمل لاخرتك كانك

تموت غداً واعمل لدنياك كانك تعيش ابداً)

﴿ فضل الكرم والبذل وذم الشح والبخل ﴾

متى عرف العاقل حقيقة هذه الدنيا الدنية ووقف على وظيفتها فانزلها في منزلتها الحقيقية هان عليه خطبها واستوى عنده مرها وعذبها وبذلها في مصارفها الشرعية وانفقها في وجوهها الواجبة المرعية وهذا هو الكرم الصحيح والجود الممدوح كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ قوله تعالى (ألهيكمُ التكاثر حتى زرتم المقابر) ثم قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فأمضيت ويقابله البخل والشح وهو في غاية القبح ولا يصلح ان يكون له نصيب من المدح على كل حال وان اشتهر انه ممدوح في النساء مذموم في الرجال قال الله تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وقال تعالى ايضاً (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات ولارض والله بما تعملون خبير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اياكم والشح فان الشح اهلك من كان قبلكم) وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به الى

كل سوء)وفي الحديث الشريف ايضاً (كان عليه الصلاة والسلام اكرم الناس)وروي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال (ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل)

﴿ فضل بذل الصدقة ووضعها في مواضعها المستحقة ﴾

ان اعظم وجوه العفاف والكرم بذل الصدقة ووضعها في مواضعها المستحقة وليس المراد بالصدقة مجرد الزكاة التي هي فرض فقط وهي احد اركان الاسلام الخمسة بل مطلق التقربات المالية وسائر انواع الحسنات النفلية واذا اطلقت على وجه العموم شملت كل ما صدر عن كل ذي طبع كريم من انواع النفع والاكرام للخاص والعام كاغاثة الملهوف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وازالة الاذى عن الطريق وسائر وجوه الخير المتعدية لمنفعة الغير والصدقة شعار المسلمين وعلامة المؤمنين وما اعظم قدر الصدقة اذا صادفت مواضعها المستحقة ولا سيما اذا عم نفعها وعظم وقعها كالوقف على انشاء صهريج او مكتب او مدرسة على التربيـة

للاطفال مؤسسة او لترتيب جائزة اهلية تعطى في كل سنة مثلا لمن يؤلف انفع تأليف للتربية العمومية الاولية وعلى كل حال فالصدقة فضلها غير منكر وهي مما يمدح ويشكر وهي كما ورد في صحيح الاخبار عن النبي المختار (تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) وكما ورد في الآثار المتواترة اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال الله سبحانه وتعالى في محكم الآيات البينات (ان الحسنات يذهبن السيئات) وغير ذلك مما ورد في فضل المتصدّقين والمتصدّقات

(تنبيه ينبغي التفطن له وتنويه بامر لا يليق للشخص ان يجهله)

التصدق على هؤلاء السؤّال الذين يقفون على قوارع الطرقات ويطوفون على الشوارع والحارات ويتحيلون بانواع التحيلات على اتخاذ المسألة لهم صناعة فيجدون فيها اروج بضاعة ويجعلونها وسيلة للكسل وطريقة للتخلص من العمل وهم يقتدرون عليه هو في اغلب الاحيان لا يصادف موضعه ولا يقع موقعه اذ كثيرًا ما يهلك احدهم فيوجد في تركته من الاموال مالا يملكه رجل مستور الحال وكم من فقير صاحب عيال او ذي حرفة شريفة محتاج في ترويج حرفته لقليل من رأس المال وربما مات هولاء في منازلهم جوعا والحياء يمنعهم من التكفف ويحسبهم

الجاهل اغنياء من التعفف فينبغي للمحسن ان يتفطن وينظر اين
يضع احسانه قبل ان يضعه ولا يضعه الا اذا صادف موضعه
وحيث يرجو نفعه وما احسن ما استجد الآن في البلاد المتمدنة
من الطرق المتقنة في ترتيب انواع الصدقات وبنائها على اساس
الشركات المعروفات بالقومبانيات حيث تصرف الاحسانات فيها
على مصارفها المحققة ولا تضيع مزيتها بالتفريق في بعض الوجوه
المتفرقة

فضل الحياء والاحتشام وتوقيعه على مقتضى قانون الاسلام

ومما يتفرع عن فضيلة العفة الحياء والاستتار الذي هو من
موجبات الحشمة والاعتبار ومنه ما يعبر عنه بالوقار ويقابله
البذالة والوقاحة وما يلزمها من القباحة والاستهتار والانهماك على
هتك الاستار والحياء (بالمدّ) هو انقباض وخشية يجدها
الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح وعرفه بعضهم
ايضاً بانه خلق يبعث على ترك القبيح وهو يعم الاستحياء من الله
سبحانه وتعالى ان يرى العبد حيث نهاه بل يعبده كأنه يراه
والاختشاء من الناس في سائر الامور المستقبحة من الاحوال
الدنيوية ان يطلعوا على عوراته الطبيعية والمعنوية والحياء من
اشرف الخصال واكمل الاحوال قال الله تعالى (وتخشى الناس

والله احق ان تخشاه) وقال النبي عليه الصلاة والسلام (الحياء شُعبة من شعب الايمان) وروي عنه عليه الصلاة والسلام ايضاً (الحياء خير كله والحياء لا ياتي الا بخير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضاً (ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت) وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (استحيوا من الله حق الحياء) قالوا انا لنستحي والحمد لله فقال (ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعي وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) ومن احاديث الشمائل النبوية والفضائل المصطفوية انه عليه الصلاة والسلام كان اشد حياء من العذراء في خدرها ومما يقتضي التنبيه عليه وينبغي التفطن اليه ان الحياء الممدوح على الوجه المرعي هو ما كان على مقتضى القانون الشرعي فان منه ما يذم شرعاً بل وعقلاً كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شروطه اذ هذا من قبيل الجبن المستقبح لا من باب الحياء المستحسن وكالحياء في العلم المانع من السوآل عن المسائل المهمة والوقائع الملمة اذا اعترى الانسان فيها الاستشكال والحياء في طلب الرزق فان الاول من باب الكبر القبيح والثاني من قبيل العجز الغير الممدوح

﴿ الفضيلة الاصلية الثالثة ﴾

(الشجاعة)

واما الشجاعة فهي فضيلة اصلية وقوة قلبية يقتدر بها الانسان على التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغي كما ينبغي فيما ينبغي من الامور العظام وهي الحد الوسط الممدوح فيما بين الغايتين واللباب الخالص الصريح بين النهايتين اللتين احداهما الجبن الذي هو ضد الشجاعة وهو عبارة عن حالة تعتري الانسان يحصل له بها عند المخاوف الجزع والاحجام عند ادنى فزع والثانية التهوّر وهو مجاوزة حد الشجاعة فهو حينئذ الاقدام على ما لا ينبغي كما لا ينبغي فيما لا ينبغي وكل من الجبن والتهور اقبح رذيلة بخلاف الشجاعة فانها كما قيل عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها ايضاً بالصبر وقوّة النفس او قوّة الجاش أي القلب قال الحكماء ونقل العلماء الثقات ان اصل الخير كله في الثبات

وفيما روي عن اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم انه كان احسن الناس واجود الناس واشجع الناس ولقد فزع اهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَلَ الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد سبق الناس الى الصوت وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا وهو على فرس لابي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف

فقال لقد وجدته بحرًا او انه لبحر وافضل انواع الشجاعة تقوى الله والصبر عن ارتكاب معاصي الله كما قيل فيما نقل

ليس من يقطع طرقًا بطلاً انما من يتقي الله البطل

واما الجبن فانه خلق ذميم يأباه كل ذي طبع كريم ولا سيما عند لزوم المدافعة عن الوطن او الحريم ولذلك كان فرسان العرب عند القتال يجعلون حريمهم من ورائهم ليقاتلوا حتى يظفروا او يقتلوا دون نسائهم وكفى بالجبن ذما ان النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الجبن في دعائه المأثور حيث قال في الحديث المشهور (اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)وكذلك التهور من الاخلاق المستقبحة حيث لاتدعو اليه المصلحة فيوقع من سلكه في ورطة المهلكة المنهي عنها بقوله تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)

(ذكر بعض مايتفرع عن فضيلة الشجاعة الاصلية من)
(الفضائل وما يقابلها من الرذائل)

﴿ فضل علو الهمة والنزاهة عما يوجب المذمة ﴾

مما يتفرع عن فضيلة الشجاعة الاصلية من الفضائل الفرعية بل يلزمها لزوم اللازم للملزوم فضل علو الهمة والنزاهة عن كل خلق

مذموم وعلو الهمة هو استصغار مادون النهايات من معالي الامور وضدها الدناءة وصغر الهمة وهي ضعف النفس عن طلب المراتب العالية وقصور الآمال عن التشبث باحاسن الاعمال ومن علو الهمة مايعبر عنه بالانفة وهي نفور النفس عن الامور الدنيئة والحمية وهي الغضب عند الاحساس بالنقص والغيرة وهي اظهار الغضب فيما يخشى عاره ومنه الغيرة على العرض وهو عبارة عن كل مايخشى فيه خدش شرف الانسان كالغيرة على الاهل والحرم وكل ذي رحم محرم ولذلك يعبر عنه ايضاً بشرف النفس وهو خلق جميل وفضل جليل بخلاف الدناءة فانها كما لا يخفى خلق رذيل وأي رذيل ولا سيما الحمية والغيرة فانهما من شيم الكرام كما قال الشاعر الحكيم في بديع النظام شعر

ولم ارَ في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

﴿ فضل التواضع وذم الكبر والترافع ﴾

التواضع للناس هو استقلال ذي الفضل فضله بالنسبة لغيره وبعبارة اخرى كما هو عن بعضهم منقول التواضع هو اظهار الخمول واجتناب المرء المباهاة بما رزقه الله سبحانه وتعالى من جميل الخصال وترك العجب بما توفر فيه من محاسن الاعمال وضد التواضع الكبر والترافع وهو ان يعظم الانسان نفسه وما اتصفت به من جميل

الخصال وكل مايصدر عنها من محاسن الافعال فوق ماتستحق والميل للارتفاع فوق الغير بما ليس له فيه حق وبعبارة اخرى هو استعظام نفسه واستحسانه فعله دون فعل غيره واستكثاره خير نفسه فوق خير غيره والتواضع لله الخشوع له والاعتراف له بالعبودية والكبر على الله والعياذ بالله هو الترافع عليه ونسيان العبودية ودعوى الالوهية وهذا هو الكفر الصريح الذي لاينكر والذنب القبيح الذي لايغفر بخلاف التواضع له تعالى فانه الموجب للترافع لديه كما قيل (من تواضع لله رفعه ومن تكبر عليه وضعه)

واما التواضع للناس فهو من موجبات الالفة والائتناس وهو عبارة عن لين الجانب وخفض الجناح وهو خلق اهل الصلاح والنجاح قال الله تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) وقال تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوًّا في الارض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (افضل العبادة التواضع) وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً (لاترفعوني فوق قدري فتقولوا فيّ ماقالت النصارى في المسيح فان الله تعالى اتخذني عبداً قبل ان يتخذني رسولا) ومما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه اتاه رجل فكلمه فأخذته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (والقديد اللحم المقدد اي المشقوق لقصد التجفيف) وروي

من اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة اهله ولم يكن متكبرًا ولامتجبرًا أشد الناس حياء واكثرهم تواضعًا وكان اذا حدّث بشيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر

وبالجملة فان التواضع سلم الشرف. وموجب للترقي الى أعلى الغرف بخلاف الكبر والاعجاب فانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك برذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأدب والنجح وتحمل الناس على انكار مافي الانسان من الفضائل الظاهرة وتورث المقت في الدنيا والآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) وقال عليه الصلاة والسلام ايضًا (من جرّ ثوبه خيلاء لاينظر الله اليه) وقال بعض الحكماء الكبر من دلائل النقص وما تكبر احد الاّ من زلة يجدها في نفسه ولا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والتواضع هو الشاهد العدل بالفضل لاحاجة لذي الفضل الحقيقي في اثبات فضله لسواه من دليل كما قيل

شعر

وهل اثبت الانسان في الناس فضله

بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

﴿ فضل العفو والصفح عن الزلات ومقابلة السيئات بالحسنات ﴾

ومن لوازم الشجاعة العفو عن العثرات والصفح عن السيئات وهو ترك الانتقام مع الاقتدار ومجازة المسيء بالاحسان ولو بالاعتذار كما قيل في رقيق الاشعار

اقول حملته في سفكه تعبا   اني له عن دمي المسفوك معتذر

والعفو انفس مكارم الاخلاق بالاتفاق بل هو نفس الفضل كما دل عليه العقل والنقل اذ العفو كما قيل من شيم الكرام وحب الانتقام من طباع اللئام وقد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل) وقال تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال تعالى (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (رأيت قصوراً مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود) ومما روي عنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى

(فمن عفا واصلح فأجره على الله) وقال صلى الله عليه وسلم (ان العفو لا يزيد العبد الا عزًا فاعفوا يعزكم الله) ومن حديث التمائل ايضاً (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولكن يعفو ويصفح)

وقد قيل من طباع الشجاع اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقيل ايضاً (ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ومن انتقم لنفسه فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في الناس دكره)

ومما قيل ايضاً في العفو عند الاقتدار من لطيف الجناس وشريف الاقتباس من الآية الشريفة المذكورة آنفاً قول بعضهم

خذ العفو وأمر بعرف كما أُمرت واعرض عن الجاهلين
ولِن في الكلام لكل الانام فمستحسن من ذوي الجاه لين

﴿ فضل الحلم وترك الغضب وذم مايتبعه من الشر والصخب ﴾

الحلم حالة هدء وسكون تتيسر للنفس عند وجود مايوجب الغضب والغضب حركة منتظمة تعتري النفس عند وجود مايوجبها من السبب بحيث تدفع بالعنف كل ماليس فيه ترغب او حالة بهيمية تنشأ للنفس من غليان دم القلب بحيث لا نعقل ماتفعل وهو نوع من الجنون والجنون كما قيل فنون ومتى تحكم على الانسان

الغضب تراه يهذي ويصخب (والصخب على وزن الغضب هو اللغط ورفع الصوت وهو من اقبح الطباع ومن اخلاق الرعاع) وقد يكون الغضب سبباً للفجأة بالموت ولذلك كان الحلم مثنياً عليه والغضب منهياً عنه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلاً قال له أوصني أو قل لي قولا واقلل عليّ فلعلي اعقله قال لاتغضب ثم ردّد عليه مراراً فقال لاتغضب وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية وبدائع الحكم المصطفوية وذلك ان الغضب مفتاح كل شر وسبب كل ضرر ومما روي في الترهيب من الغضب والترغيب في الحلم قوله عليه الصلاة والسلام ايضاً (اشدّكم من غاب على نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة)وقوله عليه الصلاة والسلام (من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء)وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً (ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

وانما يذم الغضب حيث لم يكن لله سبحانه وتعالى والاّ فهو محمود ولذلك ورد (انه صلى الله عليه وسلم كان يغضب اذا

قوله الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الرجل الشديد البأس الكثير الصرع للناس

انتهكت حرمات الله عز وجل فحينئذ لايقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق) وروي من اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه)

وبالجملة فنهاية الكمال الغضب في موضعه والحلم في موضعه والاً فهو غير مصادف لحسن موقعه

﴿ فضل النشاط في العمل وترك البطالة والكسل ﴾

ومن انواع الشجاعة ايضاً الاجتهاد في العمل وترك البطالة والكسل اذ لم يخلق الانسان الا للعمل والشغل ولذلك كان الكسل دأب النذل والبطالة من ارذل الرذائل كما ان الانتداب للشغل رأس الفضائل وقد استعاذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في دعائه المشهور من العجز والكسل ومن أصدق ماقيل (بالعمل يبلغ الامل من مراتب السعادة ومناصب السيادة) وناهيك في هذا المقام بقول العوام في المثل (اليد البطالة نجسة) أي لكونها قد قام بها الكسل والقعود عن العمل فصارت دنسة دناسة معنوية

قوله انتهكت يقرأ بضم التاء وكسر الهاء وفتح الكاف مع وصل الهمزة على صيغة المبني للمجهول من قولهم انتهك فلان الحرمة أي تناولها بما لايحل

حيث لم تشتغل بما خلقت له مما فيه مصلحة اخروية أو دنيوية والكسل حب الراحــة فوق الحد المقبول والقدر المعقول أوهو جبن يمنع الانسان من انتهار النفس واجبارها على الانتداب للعمل فتهمل اداء مايجب فضلاً عما يحب وضده الاهتمام الذي هو شأن المسلم الصحيح الاسلام وهو فضيلة جميلة تحمل الانسان على تأدية ماتكلف به من الواجبات وما يستحب له من المندوبات مع التجلد والثبات والقانون في ذلك ان لا تؤخر عمل يومك لغدك فلا يسعك وربما منعك حيث كان لكل وقت عمل والمشغول لايشغل والوقت كما قيل سيف ان لم تقطعه قطعك وبالجملة فان الكسل مذموم غاية الذم ولا سيما في مادة طلب العلم الذي هو أهم كل مهم اذ هو وسيلة لصلاح العمل كما قال بعض من عقل

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعــد الخير على اهل الكسل

ومن اخص انواع الاجتهاد في العمل مايعبر عنه بالشهامة وهي الحرص على الاعمال الجليلة توقعاً للاحدوثة الجميلة وهي من أمدح الخصال في الرجال يقال رجل شهم أي متوقد الفؤاد ذو حركة ونشاط يقدم على جلائل الاعمال عملاً بقول من قال

شعر

وانما المرء حديث بعده ... فكن حديثــا حسناً لمن وعى

﴾ فضل الرحمة والحنان وما تقتضيه من التفضل والاحسان ﴿

الرحمة بالنسبة للانسان هي رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وهي ايضاً من لوازم الشجاعة اذا الشجاع يرحم ورفيع الهمة يتكرم والقساوة من لوازم الجبان واما من المولى سبحانه وتعالى فهي عبارة عن ارادة مجازاة العبد تكرماً منه على ما يصدر عنه من الافعال الحسان اذ اطلاق الرحمة بالمعنى الاول هو على الله جل جلاله مستحيل أي غير معقول ولا هو عن احد منقول لان ما استحال عليه تعالى باعتبار بدايته يصح اطلاقه عليه باعتبار غايته كما ذكروه عند تفسير وصف الرحمن ولما كان الله سبحانه وتعالى رحيماً يحب الرحيم كما انه كريم يحب كل كريم كانت الرحمة من عبده محببة اليه والشفقة على خلقه مقبولة لديه يجازي عليها الحسنة بعشر امثالها قال تعالى في وصف رسوله الكريم ونبيه الشفوق الرحيم صلى الله عليه وسلم (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لخلقه ليتخلقوا بخلقه فقال عز وجل (ان الله بالناس لرؤف رحيم) وقال تعالى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) والرحمن المنعم بجلائل النعم والرحيم المنعم بدقائقها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قالوا

يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه واهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين) وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً (من لا يَرحم لا يُرحمْ ومن لا يَغفر لا يُغفَرْ له) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (إرحموا تُرحموا واغفروا يُغفرْ لكم) وفي الحديث القدسي اي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (يقول الله سبحانه وتعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي) وفي بعض الروايات (الرحماء يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء)

(الفضيلة الاصلية الرابعة)

العدالة

واما العدالة فقد عرفها بعض العلماء بانها صفة توجب مراعاتها الاحتراز عما يخل بالمروءة عادة في الظاهر ونتيجتها صحة الافعال ووضعها في مواضعها اللائقة بها وهي في مادة الاخلاق مرتبة علية ومنقبة اصلية يتفرع عنها صفات كثيرة فرعية واصل العدالة من الاعتدال وهو الاستواء وعدم الاعوجاج وقد يعبر عن المعنى ايضاً بالاستقامة انتقالا من الهيئات الحسية للاحوال المعنوية أي سلوك الطريق المستقيمة والشرعة القويمة باتباع جميع المأمورات واجتناب سائر المنهيات بل هذه هي درجة قصوى ورتبه عليا

لاتتيسر الا لموفق وقائم لله سبحانه ونعالى على قدم الصدق تصديقاً لقوله تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وفي آية أخرى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له (قل لي في الاسلام قولا لااسأل عنه احد غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال الراوي وزيد في هذا الحديث زيادة قلت يارسول الله ماأخوف ماتخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا) وحينئذ فالعدالة تستلزم التنزه عن كل خصلة ذميمة كالحسد والغيبة والنميمة واهم مايلزم العدالة من محاسن الاوصاف اتباع طريق العدل والانصاف واجتناب الجور والظلم والاجحاف كما سيذكر بعد

(ذكر بعض مايتفرع عن فضيلة العدالة الاصلية من)
(الفضائل وما يناقضها من الرذائل)

﴿ فضل العدل والانصاف واجتناب الظلم والاجحاف ﴾

ان قوام العدالة العدل وهما متحدان في الاشتقاق والاصل والعدل هو تصرف الانسان في حقه بوجه الحق بحيث يؤدى منه لكل ذي حق حقه ويضعه في مواضعه المستحقة ويرادفه الانصاف

وضده الجور والظلم ويرادفهما الاجحاف فهو التصرف في حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد المستحق وقد اتفقت جميع الملل والنحل على ان العدل فضل وأي فضل وعلى انه واجب بالشرع والعقل في حق الآحاد وسائر العباد وفي حق الملوك وارباب النفوذ اوجب وافضل بخلاف الظلم فانه ذميم والظلم على كل حال كما قيل (مرتعه وخيم ومربعه سقيم) ولا سيما بالنسبة لمن كان لانصاف الناس بعضهم من بعض قد انتصب فانه في حقه الزم واوجب واظلم الناس كما قيل من ظلم الناس للناس ولا يخفى على كل ذي بصيرة مافي ذلك من الخطر والباس حيث يأخذ من هذا من غير حق ويعطي ذاك بدون ان يستحق وقد قال الله تعالى في محكم القرآن (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والفرق بينهما ان العدل هو ان تعطي ماعليك وتأخذ مالك من غير زيادة ولا نقصان والاحسان أن تعطي أكثر مما عليك وتأخذ اقل ممالك وتحري العدل من اوجب الوجوب وتحري الاحسان مندوب قال الله تعالى (الا لعنة الله على الظالمين) وقال تعالى ايضاً (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وقال تعالى (انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها) وقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

ومما روي في فضل العدل من أصح النقل قوله عليه الصلاة

والسلام فيما يرويه عن ربه قال الله عز وجل (ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) وقال صلى الله عليه وسلم (من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج عن الاسلام) وقال صلى الله عليه وسلم (رحم الله عبداً كان لاخيه قبله مظلمة في عرض او مال فأتاه فتحلله منها قبل ان يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم) وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من اقتطع حق امرئ مسلم اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل يارسول الله ولو كان شيأ يسيراً قال ولو كان قضيباً من اراك) وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (أوحى الله تعالى اليّ ياأخا المرسلين ياأخا المنذرين انذر قومك فلا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند احد منهم مظلمة فاني العنه مادام قائماً يصلى بين يديّ حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في الجنة)

وروي ايضاً عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدي حقاً لانصرنك ولو بعد حين)

ومما ورد من النصوص في فضل عدل الملوك وولاة الامور بالخصوص قوله عليه الصلاة والسلام (لعمل الامام العادل في رعيته يوماً واحداً افضل من عمل العابد في اهله مائة عام او خمسين عاماً) وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم (عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة)

ويقال عدل السلطان انفع من خصب الزمان واذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته ويحكى ان الاسكندر سأل حكماء اهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة ام العدل فقالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة

﴿ ذكر الحسد والاغتباط وما بينهما من النسبة والارتباط ﴾

الحسد هو ما يعتري الانسان من الحزن لرؤية النعمة على الاجانب والتلذذ بما يحصل لهم من المصائب وبعبارة اخرى هو تمني زوال النعمة عن الغير والاستحصال لنفسه عليها فان تمني الحصول على مثل ما عليه الغير من احوال الخير مع استمرارها عليه بدون ان يلحق الغير ضيم ولا ضير فهي الغبطة او الاغتباط وهو من امدح الطباع الانسانية حيث كان يحمل على التشبث بما فيه الفلاح والنجاح والاقتداء باهل الفضيلة والصلاح كما قال بعضهم

شعر

تشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاحُ

بخلاف الحسد فانه من اقبح الشهوات النفسانية والخطوات الشيطانية لا نتيجة لها غير النكد والغم بما تفضل الله سبحانه وتعالى به على الغير من الفضائل والنعم قال الله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود) ومما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضاً (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ومن كلام سيدنا على ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه (الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له) وما الطف ما نظم بعضهم هذا المعنى في قوله

أياحاسداً لي على نعمتي أتدري على من اسأت الادب
اسأت علي الله في حكمه لانك لم ترضَ لي ما وهب
فأخزاك اذ زادني نعمة وسدّ عليك وجوه الطلب

﴿ الغيبة والنميمة وما اشبههما من الاوصاف الذميمة ﴾

ومما يقدح في العدالة من الخصال الذميمة الغيبة والنميمة فاما الغيبة فهي ان تذكر غيرك بما يكره من العيوب ولو بما هو متصف به في الحقيقة سواء كان في دينه او بدنه او نفسه او

خلقه او خلقه او ماله او عرضه او ولده او والدة او زوجته او خادمه او غير ذلك من سائر الاحوال الدنيوية او الاخروية وسواء كان ذلك بالقول او بالكتابة او بالتعريض او غير ذلك من طرق الدلالات فان ذكرته بما يكره من العيوب بغير حق كان هو البهتان وهو الافتراء والقذف بالكذب فالبهتان هو ان تتهم الغير بعيب ليس فيه او تنسب اليه ذنباً لم يكن ارتكبه كما ورد توضيح ذلك فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث علم اصحابه بقوله (أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل وان كان في أخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته)

والغيبة على كل حال من اقبح القبائح والبهتان اقبح منها حيث ينضم فيه لفظاعتها فظاعة الكذب الذي هو منها افظع وابشع وحسبك في الدلالة على بشاعتها قوله تعالى (أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً) وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ضمن حديث الاسراء انه قال (مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم) وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً (اياكم والغيبة فان الغيبة شر من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزني

فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها)

ومما يقتضي التنبيه عليه والالتفات اليه ان الغيبة حرام وانها معدودة من اكبر الآثام سواء كانت في وجه الانسان أو من ورائه مالم تكن لغرض صحيح كاثبات حق منكر أو لامر بمعروف أو نهي عن منكر حيث كان من اصدق الحقائق ومنه قولهم (لا غيبة في فاسق)

واما النميمة فاصلها من قولهم نم الرجل الحديث بمعنى افشاه وسعى به ليوقع فتنة ووحشة بين اثنين فاكثر والرجل نمام والاسم النميمة والنميم بهاء و بدونهـا فالنميمة حينئذٍ هي كشف عورات الناس لغير ضرورة او السعاية بين العباد لقصد ايقاع الفساد فيما بينهم وهي نوع من الغيبة بل هي اسواء عاقبة واعظم مصيبة منها لما يترتب عليها في دار الدنيا من الضرر الجسيم وعلى مرتكبها في الآخرة من العذاب الاليم قال الله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم)وفي آية أخرى (ويل لكل همزة لمزة) والهماز كالهمزة واللمزة هو المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن اعراضهم وقال صلى الله عليه وسلم (لايدخل الجنة نمام)

وروي عنه صلى الله عليه وسلم (انه مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة بين

الناس واما الآخر فكان لايستبرئ من بوله)وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب) وعنه عليه الصلاة والسلام ايضاً انه قال (ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل نمام)

واما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي اشنع من ذلك لانها تجمع الخصـــال الذميمة من لؤم الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال والوقوع في اسوإ الاحوال فكم من دم اراقــه سعي ساع وكم من عرض استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا ومتواصلين تقاطعا ومن محبين افترقا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين تطالقا فليتق الله من ساعدته الايام ان يصغى لساعٍ او يستمع لنمام ومن حكم القدماء ونوابغ كلم الحكماء (ان ابغض الناس الى الله عز وجل المثلث) قال بعضهم قال الاصمعي وهو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه

قوله ذو الوجهين وذو اللســانين كناية عن نمام وكذلك الشغار والقتات والنمام بتضعيف (الحرف الثاني منها) كلها عبارات مترادفة على معنى المحرش بين الناس ليلقي بينهم العداوة والبغضاء

ومما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن النميمة قوله (لا يبلغني احد من اصحابي عن احد شيأ فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) ومن الناس من يتلون الوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هوءلاء بوجه وهوءلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ومما يحسن ايراده هنا قول الامام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان ان يسكت عن كل ما رآه من احوال الناس الاّ ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم)

﴿ رسالة خفيفة وعجالة لطيفة ﴾

﴿ فيما يتعلق بقانون الصحة ﴾

(الكلام على بعض قوانين متعلقة بالاغذية وعلى تناول)

(الاطعمة مرارًا وعلى كيفية التغذي)

ولنذكر بيان بعض القوانين المتعلقة باستعمال المأكولات

والمشروبات فنقول

يسوغ للانسان ان يتناول الطعام مرة واحدة في كل خمس ساعات او ست لان هذه المدة كافية في اتمام هضم ما اكله من قبل

وينبغي ان تكون الأكلات متقاربة في سن الطفولية والشيبة كما انها تكون كذلك بالنسبة للكهول المتلبسين بالاشغال الشاقة ومن هذا القبيل الفعلة ونحوهم من المزاولين لاعمال الزراعة فانهم يأكلون الى خمس مرات في اليوم الواحد كالاطفال

وتختلف الأكلات باختلاف الفصول والاقاليم فتكون قليلة في فصل الصيف وفي الاقاليم الجنوبية ويقيل ارباب الكد في ذلك الفصل وفي تلك الاقاليم بعد الغداء وينبغي ان يكون تكرار الأكل اكثر اذا كانت الاطعمة نباتية

ويجب على الانسان ان لا يأكل الاّ اذا اشتهى الطعام وان لا يحرض شهوة الطعام بما ينبهها من الوسائط وان لا يتأخر عن الأكل عند طلب نفسه له لان اتمام الهضم مرتبط بتجدد هذه الشهوة وينبغي ان لا ينتظر الجوع فانه ربما يفضي به الى الشره فضلاً عن كونه يضعف جسمه ان لم يتدارك نفسه بما يكفيها من الأكل كما قيل في بعض الحكم (ورب مخمصة شر من التخم) ولانتظام ساعات تناول الطعام اهمية عظيمة في جودة الهضم كما

ان لانتظام الهضم اهمية في انتظام الصحة

وينبغي للانسان ان لا يجعل نفسه عرضة للخطر بمطاوعتها في التطلبات الوقتية والتشهيات الكاذبة التي تطرأ عليها احياناً من نوب تناول الطعام لانه ينشأ عن مخالفتها تقوية للذة التي اوجدها الباري سبحانه وتعالى في الاوقات المعينة لذلك وعلى المصاب بالحمى ان يحتمي من الاكل لما ورد (المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء) الاّ انه يلزم ان تكون هذه الحمية خفيفة بالنسبة للاطفال والشبان قوية بالنسبة للكهول وللملح مزية عظيمة في اصلاح الاطعمة لانه يساعد على سرعة الهضم وينبه شهوة الطعام ويجعل للجسم استعدادا للسمن واما السكر فانه ربما كان سبباً في ضعف فعل المعدة لانه ينشأ عن تعاطيه قبل تناول الطعام فقد الشهوة المذكورة وتقليل افراز الريق وجفاف الفم وتعجنه بخلاف تناوله بعد الطعام فانه يقوي الهاضمة

وحيث ان افراد النوع البشري مختلفون في قوة المعدة والذوق كاختلافهم في الاخلاق والصور فلا يمكن تعيين نوع الغذاء الذي ينبغي لكل واحد منهم تعاطيه بل كل شخص خبير بما يوافق طبيعته

ثم ان الاطعمة تختلف بحسب انواعها فاللحوم اسرع من الاغذية النباتية في ازالة الجوع واللحم العضلي الاحمر اسهل هضماً من المواد الشحمية والاوتار

واللبن والخبز اسهل هضما من المواد اللعابية كالبامية كما ان المواد الهلامية كالاكارع اسهل هضما من المواد الزلالية كالبيض وينشأ من الاغذية الحيوانية زيادة في الحرارة الغريزية عن الاطعمة النباتية والتمادي على اكل الاطعمة النباتية لايوافق الا ارباب البطالة والكسل ومع ذلك فانه يورثهم على طول المدى ضعفاً في الجسم والعقل ومن المعلوم ان الزراعين والعملة يأكلون اكثر من ابناء المدن ونحوهم من ذوي البطالة والمكثرين من الجلوس وليس اكثارهم من الأكل ناشئاً عن زيادة تعبهم فقط بل عن تناولهم الاغذية الغير الجيدة التغذي ويلزم ان تكون الاغذية متنوعة مع التناوب

ويستحسن تناول الاطعمة البسيطة بدلا عن الاطعمة المتفنن في صناعتها حتى لايؤدي تعاطيها الى الافراط في الاكل والشره والنهامة

ومن مضار الشره ان يعتني الانسان عقب الاكل قشعريرة وفتور وانحراف مزاج وذلك هو ابتداء الوقوع في الضعف والمرض فليحذر من الوقوع في ذلك

فاذا كان الدم في البدن غزيرا بأن حصل منه امتلاء فالاحسن لتنقيصه بالتدريج استعمال الحمية فهو اولى من استفراغ مازاد منه بالفصد الذي نتيجته المقصودة فضلا عن كونها ربما لم تفد

شيأ تكون مضرة لان نقصه لم يحصل بالتدريج هذا والبلادالحارة الرطبة كمصر كبيروت وسوريا لايجدي فيها الفصد نفعا غالبًا لكثرة مائية الدم واحتياج البدن اليه

ولا يكون السمن دائمًا بسبب الاطعمة فانه قد يكون ناشئا عن قلة تحلل اجزاء البدن لقلة عمل اعضاء الجسم

(الاحتراسات المتعلقة بالتنفس ونقاوة الهواء المستنشق)

﴿ الكلام على التنفس وحصول الاختناق ﴾

التنفس هواول شيء لازم للحياة ويتنفس الانسان في الدقيقة الواحدة عادة من ١٥ مرة الى ١٨ وكل حركة تنفسية يضرب فيها كل شريان نحو اربع مرات بحيث لو امتنع التنفس دقيقة ونصفا لحصل للحياة خطر جسيم اكثر مما يحصل من الامتناع عن الأكل والنوم مدة يومين

وضرورة التنفس للحياة هي كونه يحيل بتأثير الدم الوريدي الاسود الى دم شرياني احمر ناقع بتنقيته له من العناصر المضرة فينقيه من عنصر الكربون والايدروجين اللذين هما سبب سواده وبوجودهما يصير مهلكا وتلك التنقية حاصلة من امتزاج المادة المسماة بالاوكسجين الموجودة في الهواء المستنشق واختلاطها بالدم واتحادها بعد مع العنصرين المذكورين فيخرجان من البدن على صورة حمض

كربوني وماء وينشأ عن بقاء الدم في حالة السواد مايعرف عند الاطباء بالاختناق والاختناق عبارة عن موت ظاهري ناشئ من عائق في التنفس او عن استنشاق هواء صار لعدم نقاوته غير كاف للتغذي ومتى سرى الاختناق الى القلب واشركه مع باقي الاعضاء في الخمود العام اعقب الموت الظاهري الموت الحقيقي كما قد يشاهد ذلك بالنزول في نحو ساقية او بئر مهجورة او مطمورة او صهريج او مرحاض ويتم التنفس بذاته لا بمساعدة للقوة الارادية من مبداء الولادة الى انقضاء الاجل وذلك بتأثير القوة الالهامية

وأول حركة دالة على حياة الانسان هي التنهق الذي هو عبارة عن دخول الهواء في الرئتين والزفير الذي هو عبارة عن خروجه منها هو آخر حركة تدل على انقضاء الاجل

ولا يكون التنفس تاما الا اذا كان الجسم الانساني محاطا بكثير من الهواء النقي او المتجدد بقدر الكفاية مع سهولة جريانه في الرئتين

والرئتان عضوان ضروريان للتنفس لان منسوجهما متكون من عدة قنوات بعضها معد لدخول الهواء فيه وبعضها معد لجريان الدم به .

ومتى لامس الهواء الدم الاسود في باطن الرئتين اكسبه اللون الاحمر الشرياني والحرارة وبذلك يصير الدم صالحا للتغذية

وتتولد عن التنفس الحرارة الغريزية

وكيفية التنفس هو ان ينجذب الهواء الى الرئتين من الفراغ الناشيء عن انقباض الحجاب الحاجز وانخفاضه

(والحجاب الحاجز هو العضلة الفاصلة بين الصدر والبطن)

ويستعمل كل انسان من الهواء كمية تختلف بحسب بنيته وقوته وسنه وحركة جسمه وراحته وانفعالاته النفسية وسكونها والكمية المتوسطة المقدرة للانسان من الهواء في كل حركة تنفسية احد عشر قيراطاً مكعباً (اعني ثلثمائة سنتيمتر مكعب) ومن هنا يتضح ان الانسان الذي يتنفس ١٨ مرة في الدقيقة الواحدة او ٢٦ الف مرة في كل اربع وعشرين ساعة يدخل في صدره ثمانية امتار مكعبة من الهواء في اليوم الواحد ونحو ثلاثة آلاف متر مكعبة في السنة الواحدة

ومن ذلك يستنتج انه يلزم تمريء المدن الكبيرة واصلاح هوائها بتجديد الهواء فيها على الدوام والاستمرار وجعله مناسب المقدار بالنسبة لعدد سكانها وتسهيل مروره في الحارات والبيوت وترتيب ما يلزم لمبانيها من الملاقف مع اجتناب تراكم الناس لاسيما في اوقات الوباء واحاطة المنازل على قدر الامكان بالاشجار لانها تكون واسطة في اصلاح الهواء وتنقيته نهارا مما يحتوي عليه من المواد الغريبة المضادة للصحة فتعيد اليه مافقده من العنصر الحيوي

الذي هو السبب في كون هواء الأرياف أجود للصحة من هواء المدن في الليل

وينبغي ان لاتفتح الكوات (يعنى الشبابيك) ليلا لاجل منع دخول هواء الابخرة المتراكمة لانها تفسد الهواء ليلا بسبب تولد الحمض الكربوني فيه ولنبين الاسباب التي يكون بها الهواء مريئاً او وخيما فنقول

اذا كان الهواء محتويا على خمس ثقله من الاوكسيجين كان اصلح للتنفس بشرط ان لايكون مشوباً بغازات سوى الازوت المركب لاربعة اخماس ثقله وان لايكون به كثير من الماء كزمن الضباب وان يكون باردا لاحارا ويابساً لارطبا وثقيلا لاخفيفاً لان الهواء يصير غير صالح للتنفس اذا اشمل كل مائة جزء منه على ثلاثة عشر جزأ من الاوكسيجين

وهواء الجبال لخفته يكون سببا في الانتفاخات وضيق النفس وتمزق العروق والازفة وكذلك هواء الوديان الحار جداً وشدة برد الجبال الشاهقة تقاوم أذى خفته كما اثبت ذلك بالتجارب من صعد في الجو بالقباب الطيارة المسماة بالبالونات واعلم ان مقدار ماياخذه الانسان من الاوكسيجين لابد ان يكون بنسبة مايتناوله من الاطعمة ولذا كان المقدار الذي ياخذه الشخص الواحد في الشتاء اكثر مما يأخذه في الصيف وما يأخذه الفتيان والشباب

من ذلك اكثر مما يأخذه الشيوخ

وينشأ عن تراكم الناس في البيوت والمعامل خطر زائد لاسيما في فصل الشتاء لاسباب منها ان الناس باعتبار كونهم مستوين من كل وجه يأخذون من الاوكسيجين في الشتاء اكثر مما يأخذونه في فصل آخر لزيادة تولد الحرارة الغريزية فيه ومنها انه قد يوجد في هذا الفصل بعض بورات احتراق (أي مراكز نارية) او مصابيح يترتب عليها نفاد الاوكسيجين حيث ان الاحتراق والاستصباح لايتمان الا بواسطته الا ترى انك اذا غطيت قنديلا مثلا فانه ينطفئ لوقته وما ذاك الا لعدم وصول الاوكسيجين اليه من الهواء ومنها انه في فصل الشتاء يضطر الناس لاغلاق المساكن فيمتنع تجدد الهواء فيها بسبب ذلك وينشأ عن عدم نسبة سعة المساكن لعدد سكنها خطر بسبب اجتماع مقدار عظيم من حمض الكربون في هذه المساكن بتنفس ساكنيها وحيث كان هذا الحمض اثقل من الهواء فلا شك ان ضرره بالنائمين والقاعدين اشد من الواقفين ويكون خطرا عند ارتفاع الحرارة ومهلكها عند عدم تحرك وكل هواء اطفأ الشمعة فانه يكون قاتلا في الحال بسبب ماينشأ عنه من الاختناق ولذا كان من الحزم اختبار نقاوة الهواء وعدمها بتلك الواسطة اذ أريد النزول في الآبار والحفائر العميقة والمطامير وما اشبه ذلك ويمكن تجديد هواء المساكن والاماكن الغير الموافقة

للصحة بايقاد نيران في مداخلها

ويجب الاحتراس من الفحم الغير التام الاحتراق الذي يتصاعد منه بخار في الاماكن المسدودة المحتوية على كثير من الناس وكذا من الآبار المحفورة بالجهات التي تنبع منها المياه المشحونة بالغازات المضرة وكذا من معامل الفقاع (اي البوزة) ومن افران الجير ايضاً لاشتمالها على كثير من حمض الكربون المضر بالصحة

وقصار القامات اكثر عرضة من غيرهم لتأثير حمض الكربون الذي يكون موجوداً في الاماكن للزوم هذا الحمض لاسافلها واما طوال القامات فانهم يتأذون من الهواء الفاسد بوجود غاز الايدروجين الذي يلزم اعالي الاماكن لاخفيته بالنسبة للهواء

واذا كانت النباتات معرضة لضوء الشمس فانها تكسب الهواء الاوصاف الجيدة للتنفس على عكس الازهار فانها ينشأ عنها فساد الهواء كما انه يفسد بانفاس الحيوانات ولذا لا ينبغي ابقاء صحب الورد ولا قصارى الرياحين في الاماكن ليلا لانها تمتص الحمض الكربوني فتحلله وتأخذ منه الكربون وتترك الاوكسيجين الذي يختلط بالهواء ثانياً فيعيد له ما كان نقص منه

ويلزم بذل الهمة في حفظ نقاوة الهواء بالسفن والحبوس والمارستانات والمعامل والقاعات التى يكثر اجتماع الناس بها

والمدارس والاماكن المعدة للالعاب (المسمات بالتياترات) بواسطة انشاء مجار للهواء واستعمال آلات لتجديده وجريانه من نحو افران الاحتراق الجاذبة للهواء من الخارج وثم واسطة اخرى لاصلاح هواء السفن وهو ان يوضع فحم في اسفل السفينة ليمتص الابخرة العفنة المختلطة بالهواء

ومن المضر بصحة الاطفال اقامتهم مع الضعفاء وذوي الاسقام والمرضى لاسيما اذا كانت اغذية الاطفال غير كافية لهم او كانت غير جيدة التغذي

ولابد لتجديد الهواء الراكد في الصدر من استعمال الرياضات كالمشي الطويل والحركات الجسيمة المتنوعة ونحو ذلك

وللهواء المتحمل بالمواد المتصاعدة من البطائح والمستنقعات ضرر يتيسر تخفيفه بوضع خرق من الاقمشة الرفيعة على الانف عند المرور بها واذا اضطر الانسان الى المرور بتلك الاماكن فينبغي ان يكون ذلك وقت الظهيرة فقط لانتشار الابخرة المذكورة حينئذ في الجو وارتفاعها عن نحو قامة الانسان

ويمكن مقاومة البرد الشديد بواسطة استعمال الاغذية الحيوانية والرياضة ومباشرة الاعمال لانه ينشأ عن ذلك تولد حرارة في الجسم تكون للصحة اجود من استعمال الغطاء الثقيل والتدفئة بالنار

والتدفئة بواسطة وجاقات ذات مداخن اجود للصحة من التدفئة بواسطة المواقد (المعروفة بالمناقد) التي يستعملها الناس في فصل الشتـاء لان دخان الوقود يتراكم في المكن فيختلط بهوائه ويفسده ولا ينبغي للانسان ان ينفخ على نار الفحم بفمه لانه عند اخذ نفسه عقب النفخ يدخل في رئته مقدار من الحمض الكربوني الناشيء عن الاحتراق فيضر بالصحة

فاذا حصل لشخص اختناق نشأ عن هواء وخيم فلا ينبغي النفخ في رئته لقصد ادخال الهواء فيها لانه يحصل له من ذلك ضرر عظيم بل الاولى اسعافه بتوسيع صدره وتضييقه على التوالي كما يفعل بالكير او المنفاخ وذلك برفع يديه نحو راسه وردهما ثانياً الى صدره وهكذا ودلك نقرة الفؤاد منه وعرك انفه لاجل تعطيسه ورش الماء البارد على وجهه وتعريض جسمه للهواء البارد

﴿ الكلام على الاحتراسات الصحية اللازمة في المساكن ﴾

يلزم ان تبنى المساكن في الاماكن البعيدة عن المياه الراكدة والجهات المعدة لطرح القاذورات والبالوعات والمعامل التي ينشأ عنها فساد الهواء

ويجب لحفظها من الرطوبة ان تكون مرتفعة عن مسامتة الارض لاسيما ان كانت طفليـة لان الطفل لا يمتص ما يعلوه

من الماء

والمنازل المعرضة للجهات الشرقية اليق بالصحة ولذا صار التيامن بفتح ابواب المنازل الى الشرق معتاداً بخلاف ما اذا كان المنزل معرضاً للجنوب فانه يكون شديد الحرارة زمن الصيف معتدلا في الشتاء واذا كان معرضاً للشمال فيكون باردا في الشتاء معتدلاً في الصيف كما هو معلوم واذا كان معرضاً للغرب فانه يكون حاراً يابساً لا سيما بعد الزوال ولذا يتشأم الناس عادة من فتح الباب جهة الجنوب والغرب لما يترتب على ذلك من ضرر شدة الحر

ولا بد من تكثير الشبابيك والمجاري الهوائية بالمساكن لاجل تجدد الهواء ونفوذ الاشعة الضوئية فيها ولذا قيل حيث ينفذ الضوء تكون الصحة لان الاماكن ان كانت مظلمة اصاب سكانها الحفر (وهو فساد الانسان)وداء الخنازير ولما كان الهواء غير جيد التوصيل للحرارة استعملت الشبابيك المزدوجة لحصر جانب من الهواء بين الشباكين الظاهر والباطن وبهذه الوسيلة استحصل على بقاء حرارة المكان شتاء وبرودته صيفاً

وشحوب اي سمرة وجوه سكان البر من الشمس خير من انتفاع الوان سكان المدن

ويلزم ان يكون عدد الشبابيك مناسباً لسعة الاماكن كما

ان سعة الاماكن تكون بنسبة القاطنين بها

وينبغي ان يكون لكل انسان مقدار عشرة امتار مكعبة بالاقل من الهواء لا سيما اذا كان قبواً (عقداً)

والأولى للانسان ان يبيت بمكان لم يكن مكث به احد نهاراً لئلا يكون افسد هواءه

والاحسن في المساكن المنتظمة ان تكون المطابخ والاصطبلات والمراحيض وغيرها مما تتولد منه الروائح الكريهة شاغلة للجهة الشرقية حيث ان اكثر الرياح هبوباً في بيروت الهواء الغربي

والجهات المقابلة من المنازل للشمال او الشرق اليق بالصحة كما علم مما سبق

والأولى ان تكون المساكن بالقرب من البساتين والمزارع ومتباعدة عن جهة الغوغاء وكثرة اللغط

ولا ينبغي السكنى تحت مهب الرياح المارة من جهة المقابر والمعامل والورش

ولا يلزم بناء المساكن بأي مكان الا بعد اختبار ارضه ومياهه وجودة محصولاته النباتية اعنى انه يشترط في انشاء المنزل ان يكون في ارض مريئة عذبة المياه جيدة الهواء ويجب الاحتراس من المداخن التي تشوش بدخانها على سكانها ومن المخادع الغائرة والفرش اللينة جداً

ولا ينبغي ان تكون الوسائد والخديدات التي يستعملها الاطفال والفتيان عند النوم غليظة جداً لئلا يحصل اعوجاج في قاماتهم واعناقهم

والسكنى بالاماكن الواسعة الجيدة موافقة للصحة المكثرين من القعود

والنظافة من اهم الاشياء وهي متيسرة لكل انسان والنساء اكثر تضرراً من الرجال بوخامة الاماكن وعدم موافقتها للصحة لطول مقامهنّ بها

وينبغي ابعاد الاشياء المتخمرة او المتعفنة عن المنازل وكذا المزابل والقمامات وانواع السرجين(وهو ارواث الدواب)والدبال (المعروف عند الفلاحين بالسباخ)لان ذلك يكون سبباً في تولد الحمى كالمستنقعات والحارات الكثيرة الرطوبة

ولا ينبغي السكنى بالمساكن الجديدة البناء لاشتمالها على الرطوبة التي تتولد منها الامراض الحدارية ولا بالمنازل المنقوشة بالدهان قبل جفافها لان سكنها يكونون في هذه الحالة عرضة للمغص الرصاصي والامراض العصبية والارتعاشات

﴿ الكلام على الملابس والاحتراس من التأثيرات الخارجية ﴾

حيث ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل للانسان في اصل خلقته

وقاية طبيعية كثيفة قوية تقيه الحر والبرد الهمه اختراع مالا بد له منهُ من الملابس التي تستر جسمه وتحفظه من التغيرات الجوية

ولما كان من الضروري اتخاذ الملابس بمناسبة الاقاليم والفصول اضطر سكن كل اقليم الى استعمال الملابس المتنوعة الموافقة لهم بالنسبة لذلك الاقليم وعلى حسب تصوراتهم العقلية وعوائدهم واخلاقهم وبذلك تيسر للانسان السكنى في جميع البقاع فترتب على ذلك تنوع ماتتخذ منه الاقمشة المستعملة في الملابس واختلاف اشكالها وطرق صناعتها فاما الاقمشة المتخذة من الكتان والتيل فانها موافقة للبلاد الحارة واما الاقمشة المصنوعة من القطن فانها مناسبة للاقطار المعتدلة واما الملابس المنسوجة من الصوف والمتخذة من الفراء فانها موافقة للاقطار الشمالية الباردة واما الاقمشة المتخذة من القز (اي الحرير) فانها توافق جميع الاقطار كوبر بعض الحيوانات وشعرها وفائدة الملابس وقاية الجسم من الحر والبرد وستر العورة وقد تكون لمجرد الزينة

والملابس البيضاء والسوداء المستوية في النسج ليست في الاستعمال على حد سواء فالبيضاء تحفظ الجسم من المؤثرات الجوّية حيث انها تقيه الحر والبرد كما تمنع انتشار الحرارة الغريزية التي هي من لوازم الحياة

واما السوداء فعلى العكس من ذلك الا انها تقدم في التدثر

على البيضاء عند التدفئة بالحرارة الصناعية حيث لاتكفي الحرارة فان التجربة شهدت انه اذا أخذ ثلج ووضع تحت قماش اسود وثلج آخر وضع تحت قماش ابيض وعرضا لدرجة حرارة واحدة فما كان تحت الاسود يذوب قبل الآخر وما ذاك الا لنفوذ اشعة الحرارة من نسيج الاسود ووصولها الى الثلج بخلاف الابيض فانه يعكس الاشعة ويمنعها الوصول الى الثلج واما خارج محل التدفئة فلبس الابيض أولى لولا سرعة تدنسه

والملابس المصنوعة من القطن والصوف اوفق من الكتان بالاشخاص المستعدين للامراض الصدرية والحدارية

واما الكتان والتيل والحرير فهي اوفق بالمستعدين لامراض الجلد ودغدغته

وفائدة الاقمشة المتخذة من الحرير خفتها ونعومتها وبهجتها ولكونها من الموصلات الرديئة للحرارة والكهربائية تقي الانسان من الصواعق وتأثير البرد

وللاقمشة المتخذة من الصوف سواء استعملت في الاغطية او في الملابس مع كونها قليلة الثمن كثيرة المكث مولدة للحرارة فائدة عظيمة وهي وقاية الجسم من الحر والبرد وهذه الاقمشة بسبب تنوع درجاتها في اللطافة والرقة يتيسر استعمالها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم في الثروة

والقماش المتخذ من الشعر والصوف الانجوري اكثر تدفئة بخلاف الكتان فانه على العكس من ذلك والحرارة المتولدة من الملابس السخيفة النسيج اكثر تدفئة من الصفيقة النسيج

وفائدة الملابس المتسعة المنفرجة امكن تخلل الهواء لمنسوجها ونفوذه منها عوضاً عن ان يبقى محصوراً فيها فبذلك تنقص الحرارة بدلا عن ان تزيدها

وفائدة الاقمشة المشمعة والمطلية بمذاب الكتشوك (اي الصمغ المرن المعروف بالجوملستيك) كونها تقي الجسم أتم وقاية من التاثيرات وتحميه من البرد والرطوبة لحصرها الحرارة في داخلها ولعدم نفوذ الماء منها

وأيا كانت التغذية والتنفس فدرجة الحرارة الغريزية لا تتجاوز ٣٧ درجة من مقياس الحرارة المئيني بشرط ان يكون الجسم ساكنا وان لا تستعمل ادوية حارة بالقوة تزيد في تلك الدرجة

وتنفع الملابس في حفظ تلك الحرارة وفي جعلها متعادلة في جميع الاعضاء تقريباً

وفضلاً عن كونه لا ينشأ عن هذه الملابس تعطيل العرق فانها تتشرب به بدون ان يحصل منها ادنى ضرر للصحة وبالجملة فانها عبارة عن حاجز مانع من الرطوبة وواقٍ للجلد

وينبغي ان تكون الملابس مختلفة على حسب السن والذكورة

والانوثة والاقاليم والفصول والغنى والفقر والصحة والمرض بحيث لايسوغ للانسان استعمالها على خلاف الاحوال الطبيعية بل يجب ان يكون الاستعمال على حسب مايقتضيه قانون حفظ الصحة

ويجب على الانسان تبديل ملابسه في بعض الاحيان كما ان الحيوانات تتغير بشرتها الظاهرة مرة او مرتين في كل عام وفي زمن الوبـاء يلزم تبديل الملابس خصوصاً لمن يعود المرضى او يدخل الاسبتاليات

والذي يوافق الاطفال والشيوخ من الملابس هو مايدفىء لعدم تمام استيفاء التنفس في الشيوخ وقلة تثبت الحرارة الغريزية باعضائهم قال الشاعر

اذا جاء الشتـاء فادفئوني فان الشيخ يهرمه الشتـاء

ولداعي تناقصها في الاطفال عن الفتيان والشبان بنحو درجتين والملابس المدفئة توافق ايضاً ضعفـاء البنية والنحفاء وارباب المزاج العصبي والسقماء والمحتمين والعاكفين على البطالة والكسل دون الاقوياء وذوي الصحة السليمة لان استمرارهم على الحركة في ممارسة اعمالهم يقوم مقام هذه الملابس

ولا ينبغي التعود بلا موجب عى استعمال ملابس الصوف لانه يترتب على تركها فيما بعد ذلك الوقوع في الضرر وعدم التخلص من الخطر ويجب ان تكون الملابس متوسطة السعة بحيث لايحصل

منها ادنى انضغاط على الاعضاء ولا تعطيل للدم عن سيره ولا تأثير على الحاسية العامة

وينشأ عن الاربطة المشدودة شدا قويًا اورام مُصلية او الدوالي في الساقين وقد ينشأ عن شدة الحزام داء الفتق

ولا ينبغي ان يكون رباط الرقبة وياقة القميص مشدودين شدا زائدًا لانه قد ينشا عنهما داء السكتة زيادة عما يعتري الوجه من الاحتقان ويجب ان لاتكون الملابس الموضوعة على الصدر ضيقة لانه ينشأ عنها عسر في الدورة والتنفس وتاثير على اعضاء الهضم ربما ترتب عليه فقد شهوة الطعام بالكلية فضلا عما يحدث منهما على الرئتين من الضغط الذي يتولد منه احيانا سل رئويّ او زوغان القامة او انحرافها عن حالة اعتدالها

ومن المضار الشديدة الناشئة عن الملابس الضيقة انتقاع اللون حال تركها لان الدم يعود الى ظاهر البدن بعد ان كان قد تركه وذلك من ضغط تلك الملابس وبهذا يقل ورود الدم الى الوجه فيتغير لونه

وكل عضو له ما يناسبه من الملابس اللائقة بحفظ صحته وهذا معلوم على العموم

وينبغي ان تكون قلنسوة الطفل متسعة اتساعًا لائقًا لئلا تمنع الرأس عن النموّ

وللنعال الضيقة مضار جسيمة زيادة عما يلحق الارجل من الضيق والالم وعدم القدرة على المشي والعرج وربما نشأ عنها تشوه في شكل القدم والقد وقدم مفرطح سليم خير من قدم مهندم سقيم قليل الجلد على التعب غير خلي من الاوصاب والنصب

ولا بد من النظافة مطلقاً في الملابس والاجسام لانها وقاية من عدة امراض لاسيما الامراض الجلدية وكيف لايعتني بها وقد ورد في شأنها (النظافة من الايمان)

﴿ الكلام على الاستحمامات ﴾

الاستحمامات من الامور الضرورية لكافة الناس لاسيما المكثرين من الجلوس وهي بالنسبة للممارسين لاعمال المعامل والورش والمباشرين لاشغال الغازات اكثر نفعاً ولا يسوغ استعمال الحمامات الا بعد استيفاء مدة النوم والراحة لان الهضم يكون اذ ذاك قد تم اوفي المساء عقب الفراغ من الاشغال اليومية بشرط خلو الجلد من العرق

ولا بد عند الاستحمام في نهر او غدير من غمر الجسم بالماء دفعة واحدة مع تعريضه لأشعة الشمس الحارة لئلا يحصل وجع في الرأس

والحمامات تنفع في اوقات الصحو ونقاوة الهواء من الرطوبة ولا ينبغي استعمالها عند تغير الجو بالرياح المختلفة وتختلف الحمامات

باختلاف درجة حرارة الماء وطبيعتها وذلك انها اما ان تكون
فاترة او حارة او باردة فالفاترة هي التي تكون من ٢٥ درجةالى
٣٠ درجة من مقياس الحارة المئيني والحارة من ٣٥ درجة الى
٤٠ درجة والباردة من ١٠ الى ٢٤ درجة ولكل منها تأثير على
الجسم فاما الفاترة فينشأ عنها سكون وترطيب فاذا طالت مدة
المكث بها انتهت بالاسترخاء واما الحارة فيحدث منها في مبدأ
الامر تنبيه ثم تنتهي بانحطاط القوة ويكون تاثيرها شديداً واما
الباردة فتتولد منها شدة في الاعضاء ويحصل بسببها تزايد في
القوى البدنية اذا كان في الجسم قدرة على رد الفعل ورد الفعل
هنا هو الاحساس بالحرارة عقب برودة الانغماس في الماء

والأولى ان تكون مدة المكث في الحمامات الباردة قصيره
خوفاً من عودة البرودة عقب الحرارة فان ذلك مضر بالصحة وان
يحرك الشخص اعضاءه في اثناء الاستحمام لتتولد في بدنه الحرارة
المقصودة من رد الفعل والحمامات من حيثية طبيعة مياهها لاتخلو
اما ان تكون من ماء بسيط وحينئذ فهي لمجرد النظافة واما ان
يكون ماؤها غروياً لعابياً فيراد منها اذ ذاك التسكين والتلطيف
واما ان تكون من ماء ملح اعني من البحر المالح او مملح فالمقصود
منها تقوية البدن واما ان تكون معدنية يحدث منها تنبيه فيعالج
بها بعض الامراض المزمنة

(الكلام على الرياضات العمومية)

اعلم ان كل ماإشتمل عليه جسم الانسان من الاعضاء فهو محل للفعل وكل فعل حيوي مفتكر للحركة وهذه الحركة هي الواسطة في معيشته بدون سقم ولا ألم لكن ينبغي تنويع الرياضات والاشغال لاجل ان يكون لكل عضلات الجسم نصيب من العمل

وللرياضة والعمل تأثيرات واضحة في الجسم وهذه التأثيرات تنفع للصحة بشرط عدم تجاوزها للحدود

فينشأ عن حركة الذراعين والمشي سرعة التنفس وتواتر النبض

وعدد نبضات القلب ٧٠ مرة تقريباً في الدقيقة الواحدة في حالة السكون والهداء وتأخذ في الازدياد بالتدريج الى اكثر من ٨٠ مرة اذا كانت حركة الاطراف قوية وحينئذ يزداد عرق الجلد ورطوبة النفس وتسهل الافرازات ويحصل للعقل انتعاش ونشاط

والرياضة قبل تناول الطعام منبهة لشهوة الاكل وبعده بقليل مساعدة على الهضم فان وقعت بعد الاكل بمدة اكثر من ذلك نشأ عنها زيادة الاستغراق في النوم مع الهدء والراحة ويكون التعب الذي يحصل للانسان من استمراره على ما اعتاد عليه من الرياضة والشغل اقل من التعب الذي يعتريه من الانكباب عليهما دفعة واحدة بلا انتظام وعلى خلاف العادة

وللشغل درجة معلومة وقوة معينة لا ينبغي تجاوزهما لانه لا يتأتى

لاحد المداومة على ذلك مدة طويلة من الزمن بلا فتور ولا تعب

ولا جرم انه يحصل لقوي البنية من الانهماك على الرياضة الزائدة والافراط منها ضرر جسيم

ولا ينبغي الامتناع دفعة واحدة عن الرياضة او الانكباب على الشغل عقب الراحة فجأة كما لا ينبغي استبدال بعض الرياضات ببعض فجـاة ايضاً لانه ينشأ عن ذلك زيادة الضرر والوقوع في الخطر

﴾ الكلام على الرياضات الخصوصية ﴿

الرياضات الخصوصية تختلف بحسب اجزاء الجسم التي تستدعيها منه فتستعمل رياضة الذراعين او الساقين كل واحد منهما على حدته او هما جميعاً في آن واحد ويختلف ايضاً بعضها عن بعض من حيث كونها جزئية او كلية

وينبغي تمييز الرياضات على حسب درجة دخول الفكر والارادة وقوى الجسم فيها وحينئذ تكون الرياضات على نوعين احدها متعدية والثانية قاصرة فالاولى نحو المشي والعدو والعوم والصراع ولعب الحكم والصيد والرقص والخطابة بارتفاع الصوت والغناء والجدف وغير ذلك من المجهودات المتنوعة والثانية كالركوب في العربات والهوادج والسفن والعربات المنحدرة من الاعلى الى

الاسفل بقوّة دافعة على سطح مائل والارجوحات العمودية او الافقية

ويشتمل ركوب الخيل على النوعين المذكورين فان راكب الفرس الجموح يعمل جسمه وفكره معاً

وقد ذكرنا آنفاً النتائج الاصلية للرياضات فعلم ان القلب يضطرب منها والتنفس يسرع واغلب الافعال الحيوية تزداد قوّة عن عادتها وان القوى الحيوية تزداد ايضاً والعرق يفرز وكذا اغلب الافرازات وبتأثير تلك الرياضات يصير الهضم جيداً ويكمل وتتجدد شهوة الطعام بسرعة ويستغرق الشخص في النوم

وبناءً على ذلك فالرياضات المتعدية تحتاج الى كثير من الاغذية الجيدة لانه ينبغي ان تكون الاغذية مناسبة لغزارة العرق ودرجة التعب

واما الرياضات القاصرة فانه ينشأ عنها في البدن ارتجاجات واضطرابات متوالية وربما يحدث منها حركات نفسانية شديدة ولا شك في منفعة ذلك كله فضلا عما ينشأ للفكر عنها من الراحة الجيدة التأثير في الصحة وهذه الرياضات تساعد ايضاً على تجديد ما يكون ماكثاً في الرئتين من الهواء بلا فائدة للحياة وبها يتم الهضم سريعاً ولحركة المشي المعتدلة فائدة عامة بخلاف العدو فانه يوجب سرعة التنفس وتحريك الذراعين

والرياضة اللطيفة المتعدية كالمشي والرقص لا العدو والصراع تليق بكل احد حتى الممتلئين بالدم وينشأ عن مثل هذه الرياضة سرعة جريان الدم والانتفاع بفضل التغذية مع امتناع السمن المفرط وللمشي والرقص مساعدة على نموّ الاجزاء السفلى من الجسم لكنهما مضران باجزائه العليا لانها ليست مشاركة لها في الشغل والحركة ولذا كانت حركات الرقص اكثر ضررًا من حركات لعب الحكم

واذا نشأ من الرياضة في الابتداء تعب لا يبلغ حد الاعياء والألم فان ذلك يكون مفيدًا للصحة غير مضر لاسيما ان اعقبها غذاء جيد ونوم غير مفرطين فانهما يزيلان ما حصل من التعب اليسير

وينشأ عن الاعمال الشاقة ضعف واعياء خصوصًا اذا كانت متتابعة او لم يعقبها ما يزيل هذا الضعف والاعياء من جودة الغذاء والنوم

وينبغي ان تكون المشروبات المطلوب تناولها عقب الرياضات الجسمية مقوية منبهة والحذر كل الحذر من شرب الماء البارد عقب التعب على الفور فانه ربما أدى الى الهلاك

وليس تاثير التعب العظيم قاصرا على الاعضاء المباشرة للاعمال الجسيمة بل يسري الى جميع الاعضاء في آن واحد وربما ينشا عنه اضطراب في جميع الافعال الحيوية الاكثر اهمية مما عداها

﴿ الكلام على الصنائع وتاثيراتها في الجسم ﴾

ولكثير من الصنائع تاثير في صحة الجسم ومنها مايحصل منه امراض توثر في الاعضاء بحيث تنتقل بالوراثة من الوالد الى الولد ومنها مايتسبب عنه انقضاء الاجل بما يحدث منه من العوارض والتعب الذي يوجد من الاشغال اليومية وبالجملة فبعض هذه الصنائع له مضار وبعضها له منافع للصحة ولنوضح ذلك بالامثلة فنقول ان المباشرين للعمل في معامل البارود والخارصين او النحاس لا يصابون بامراض العيون الا نادراً وداء النقرس (داء الملوك) يصيب في النادر سيقان العملة الذين لايفترون عن اعمالهم

وليست النساء المباشرات لاعمال الزراعة عرضة للعلل التي تعتري كثيراً من سواهن المكثرات من الجلوس

وليس للامراض الجلدية ادنى تسلط على العملة المنوطين بتحضير الكبريت واستخراج الدبال البرازي (اي السبخ المتخذ من الفضلات الحيوانية) لما فيه من الكبريت ايضاً ولا يصاب بالسل الرئوي سوى القليل من العملة المباشرين لاعمال المعادن والمزاولين للعمل في التبغ (الدخان)

وربما قام مقام الحرارة العظيمة بالاقليم الحار التعب الحادث من المداومة على الاعمال الشاقة في ازالة ادواء مزمنة لايتاتى الشفاء منها باستعمال الادوية الجيدة

وهناك صنائع كثيرة تؤثر في الانسان وتضر بالصحة وتفسد البنية وهذا ناشيء اما عن معاناة الاعمال الشاقة او عن التصعدات المضرة الخطرة اللازمة لتلك الصنائع او عن تراكم عدد عظيم من العملة في محل العمل وعن المداومة على الجلوس الذي يؤثر في الاطراف ويضر بها ضررا لاينفك عنها

وينبغي ان يلاحظ ان الموت المتسبب عن الصنائع ناشيء عن الوساخة الناتجة منها وقلة الاجرة وعدم الغبطة في المعيشة

ويجب على العملة المباشرين للصنائع غير الموافقة للصحة ان يعتنوا بملاحظة القوانين الصحية

ومع ان الاخطار الناشئة عن الصنائع كثيرة فقد رأينا ان نقتصر هنا على ايراد بعضها فنقول

انه يجب على المباشرين للعمل في المعادن ان لايدخلوا في سراديبها الا اذا تقدمهم قنديل الامن (وهو قنديل لايدخل فيه الهواء الا من خلال شبكة معدنية خاصيتها ان تمنع اشتعال الغازات المتولدة في حفائر المعادن وهلاك العملة)

وينبغي للعملة المنوطين بمباشرة العمل في الغازات خصوصاً المزاولين لعملية خلط الاجزاء المعدنية المستعملة في النقش كالمصورين والنقاشين وعملة الاسفيداج ان يكونوا عند عملهم مما يلي مهب الريح وان تكون الافران المعدة لصنع المخاليط المعدنية

جيدة السحب لانهم بهذه المثابة يكونون آمنين من المغص الرصاصي وسيلان اللعب والارتعاشات ويلزم لهم زيادة على ذلك النظافة التامة

الكلام على الترويحات الفكرية والاشغال المتنوعة

اعلم ان عدم الحركة في العادة خطر جداً

والتنوع في الرياضة موافق لجميع الناس لكن الرياضة المصحوبة بالحركة هي المرجحة على ماعداها

ولا بد من الترويحات الفكرية لمن تكون اشغالهم في العادة متبعة للجسم وتلك الترويحات كالمطالعة والتعلم والتدبر في المعاني فانها من اعظم ترويح الفكر للذين اشغالهم العادية صارفة لهم عن افكارهم ومشوشة لها وهذه هي الراحة المنيفة التي لاتفضي الى تعب جديد ولا الى كبير مصرف

والتريضات الموافقة للمترهفين والمؤلفين هي مباشرة النجارة والخراطة والعمل بالبساتين لانها من الصنائع اللطيفة التي توافق ضعفاء البنية

واما من كان منتقع الالوان من الشبان والضعفاء والفتيان المصابين بداء الخنازير فانهم يكتسبون قوة في البنية بمباشرة الصنائع المتعلقة بشغل الحديد فانه مقوّ للأبدان

ومن العوائد اللطيفة التي اعتادها الكتاب انهم يجعلون مساكنهم

متباعدة عن محل اشغالهم اليومية لان المشى الذي يقع منهم في الذهاب والاياب هو واسطة في تدارك الضرر الذى يحصل للصحة من المداومة على شغل خال من الحركة وموجب في بعض الاحيان للضجر

وحيث ان الممارسين للآداب يكونون عرضة للامراض وطالما انقضت آجالهم بالعلل المحزنة التي لاتنفك عنهم فليس ثم رياضة موافقة للفكر سوى صرفه الى جهة أخرى ومع ذلك فالاولى عدم التمادي على اتعاب الفكر بل ينبغي تنويع الملاهي واعمال الذراعين والجسم على الوجه المتوسط الذي لايجاوز الحد اللائق براحة الفكر ولا يبلغ درجة التعب لتصير ادراكات الذهن سهلة

﴿ الكلام على النوم والاحتراسات اللازمة لجعله سليم العاقبة ﴾ ﴿ جالباً للراحة ﴾

النوم هو تعطيل الحواس الخمس وعدم شعور الشخص بوجوده مع فقد الفهم والارادة

ومن المحقق ان النوم يستغرق الثلث من الحياة

ولا بد ان يكون النوم مناسباً للتعب والمكابدات ويختلف باختلاف السن والذكورة والانوثة والضعف والفصول والاقاليم

فتكون مدته طويلة بالنسبة للاطفال والرجال المباشرين

للاشغال الشاقة والشبان وقصيرة بالنسبة للشيوخ والنساء اكثر نوماً من الرجال والناقه (اي الحديث العهد بالمرض) اكثر من السليم والمفرط من الشهوات اكثر من القانع والمباشر للاشغال الكثيرة اكثر من ذوي الدعة والسكون وبالجملة فان العاكفين على التاليف والمطالعات يكونون اكثر نوما من اصحاب الثروة وارباب البطالة كما ان المدني اكثر نوما من القروي

وتكون العضلات اثناء النوم اكثر تنبهاً من الحواس والذهن ومدة النوم الضرورية للناقة تكون من تسع ساعات الى عشر وللاطفال من عشر الى اثنتى عشرة ساعة وللنساء ثمان ساعات وللشيخ خمس ساعات وللمحموم ثلاث ساعات بالاكثر ولم يشاهد احد معمراً من الذين ينامون قليلا او الذين ينامون كثيراً او من يكون نومه رديئاً

ومن اسرع العطب الى صحة الكهل الذي لم يستغرق في النوم ليلا خمس ساعات او ستا

ورداءة النوم في حالة التهيج والاضطراب او الاحلام توقع مع التدريج في السقم والنحافة والكآبة وثقل الجسم وبلادة الذهن والوسوسة وعسر الهضم

والنوم بالنهار لا يقوم مقام النوم بالليل ومع ذلك فانه يرخص بالقيلولة للاطفال والمترفهين والناقهين من الامراض والعملة ولا

يمنع من ذلك عند اشتداد الحر السياحون والمصابون بالربو ومن يكون معهم عسر هضم

والنوم وان كان يؤخر الهضم الا انه يتممهُ بغاية الجودة ويقي من الجوع ولذا قيل في المثل (من نام اكل)

وحيث كان لا ينشأ عن الافراط في الاكل وعن قلته سوى التشويش في النوم وعدم الراحة فينبغي التلطيف فيه والاقتصاد لان حسن النوم يستدعي السكون والراحة

وزيادة توارد الدم الى جهة الرأس وان كانت تجلب النوم الا انه بهذه المثابة يكون رديئاً ولا يعود منه ادنى فائدة على الجسم والافراط في النوم يورث الجسم سمنا والعقل خمودا ويؤدي الى السكتة

ومن الانفعالات النفسية ماينشأُ عنه اضطراب النوم ومنها مايجلبه ولذا ترى الفرح الذي يأتي فجاة كالحزن يمنع النوم ثم ان البطاطس والحلاح والخس ورؤس الخشخاش مما يساعد على النوم بخلاف القهوة والخرشوف المطبوخ فان تعاطيهما يورث الارق (اي السهر) وليس في النوم اهمية لاحد اكثر من العاكفين على اشغال الذهن ولا بد في حالة النوم من ان يكون النائم بعيداً عن اللغط خارجاً عن المخادع ليعقب ذلك راحة تامة ويصير

سليم العاقبة وينبغي ان لايكون قريباً من النائم سراج ولا ازهار ولا حيوانات ولا نيران مما يشاركه في الهواء الموجود بالمكان

ومن التاثيرات المضرة الخطرة جدا عند النوم الظلمه الحادبه من ظل بعض الاشجار والمجاري الهوائية والحرارة الشديدة والازهار ذات الرائحة الذكيـة والعطريـات والهواء غير النقي والابخرة المتصاعدة من المياه الراكده والتصعدات الوبائية وينبغي ان تكون الفرش صلبة ذات مقاومة لارخوة وتكون اخذة في الارتفاع بالتدريج نحو الراس وان تكون الاغطية متوسطة الثخانة ويلزم عند النوم ان يكون غطاء الراس خفيفاً والاقدام ساخنة والهضم تاماً والفكر ساكنا

ومن المستحسن ان يعتاد الشخص النوم على الجنبين على حد سواء لاجل التعادل الذي لا بد منه بين الاعضاء المتماثله على جهتي اليمين والشمال ومعظم الناس يعتاد النوم على الجنب الايمن ولهذا الاعتياد الذي ربما كان مستمرًا مدة ثلث الحياة تأثير ينشأ عنه اختلال الموازنة الواقعة بين جهتي الجسم لانه يحصل من ذلك تعب للرئة اليسرى وراحة لليمنى وتكون جهة الدماغ اليمنى عرضة للاحتقان ويعتري جهة الجسم اليسرى خدر او شلل وهو المسمي بالفالج

وينشأ عن الراحة في النوم تهذيب الخلق واستراحة الفكر

والسرور كما انه ينشأ عن قلته واضطرابه النحافة والتكدر وسوء الخلق وعسر الهضم والأرق الدائم والتعب الزائد وسآمة المصاب بذلك من نفسه وغيره وقصارى الامر انه ينبغي للانسان ان يكون مأواه لفراشه لمجرد الراحة او لمرض طارىء لا للتفكر والتدبر ونحو ذلك من التخيلات العقلية .



قد تم طبع هذا الكتاب بنفقة الفقير
الى الله تعالى احمد بن عباس
الازهري والحمد لله
اولاً واخراً .